الجمهورية الجزائرية الدّيمقراطية الشّعبية

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد

{ الملحقة الجامعية-مغنية-}

كلية الآداب واللّغات

قسم اللّغة والأدب العربي

مذكّرة تخرّج لنيل شهادة الماستر

تخصص دراسات أدبية

الجمال في الأدب الإسلامي

أحمد سحنون نموذجاً

إعداد الطّالبة:

صبيان مريم

إشراف الأستاذ الفاضل:

أ. زياني سمير

أعضاء اللجنة المناقشة

د. بوشيبة عبد القادر	أستاذ محاضر	رئيساً
أ. زياني سمير	أستاذ مساعد	مشرفاً ومقرّراً
د. بن عدي نورة	أستاذ محاضر	مناقشاً

السنة الجامعية: 2015-2016

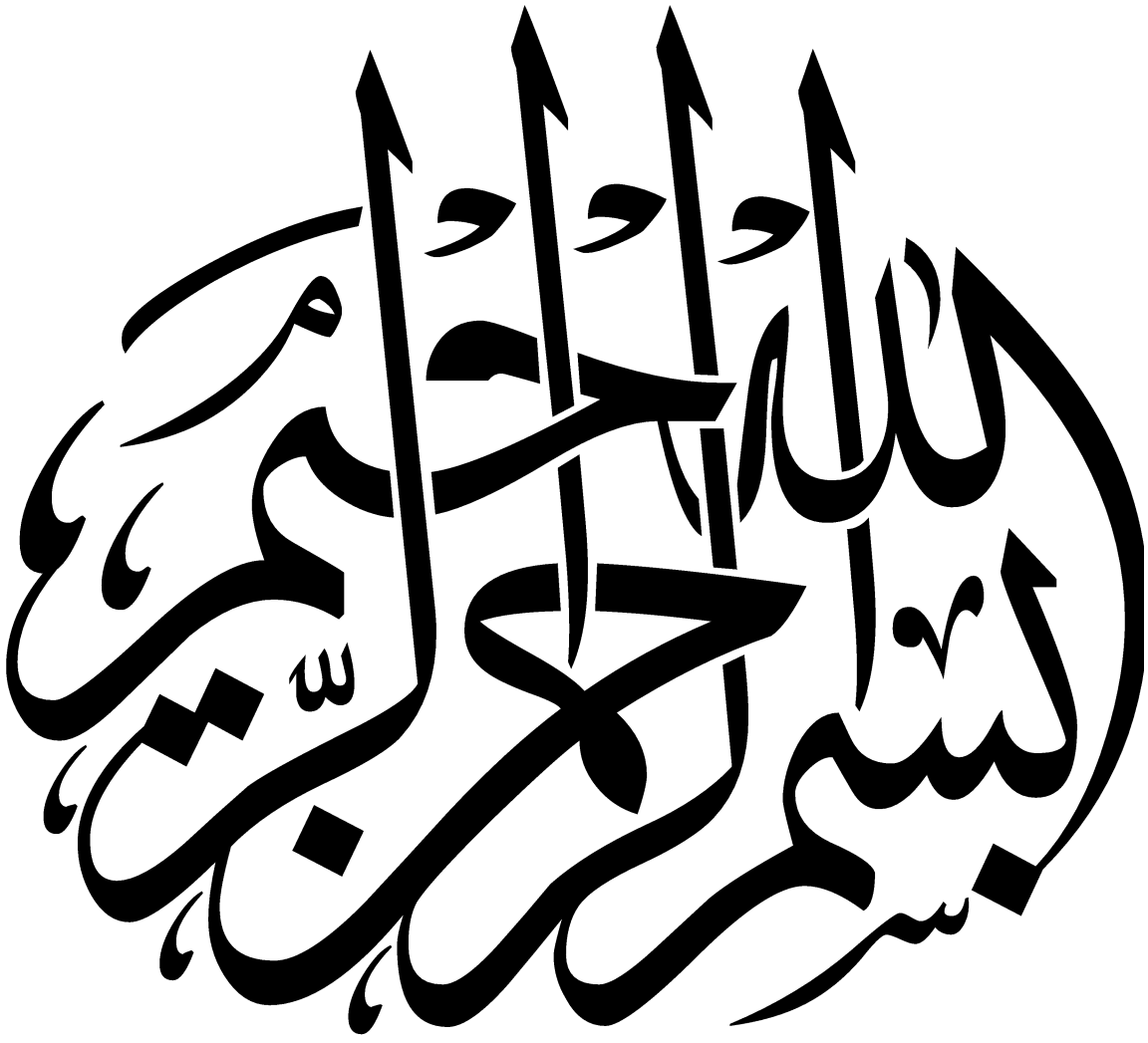
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى:

- إلى الحضن الذي احتضنني في السرّاء والضرّاء، في صغري وكبري {عائلتي الصغيرة} حفظها الله ورعاها.
- إلى من وقف بجانبي وعلّمني معنى الإصرار وعدم اليأس {زوجي الكريم} حفظه الله لي وحماه.
- إلى الروح التي استلّها الله منّي ذات يوم حزين والقلب الطاهر {خالتي} الجسد والذّكرى رحمها الله.
- إلى رفيقة دربي وحبيبتي {فاطمة}.
- إلى كلّ من قدّس العلم والحقّ.

شكر و امتنان

بكل معاني الود والاحترام والشكر والعرفان أرفع قولي هذا مضمنة بندى التقدير والامتنان إلى من سدد خطاي في هذا البحث بتوجيهاته المفيدة، ونصائحه القيمة، وما خصني به من اهتمام وتشجيع، الأستاذ الدكتور المحترم "**سمير زياني**".

وإلى من كانت أختا وصديقة أكثر ما كانت أستاذة، الأستاذة الدكتورة "**نورية بن عدي**"، التي ساعدتني وأفادتني بإرشاداتها القيمة، وتشجيعها لي.

أشكر كل من ساعدني في إنجاز مذكرتي ولو بالكلمة الطيبة أو دعاء.

المقدمة

المقدمة

الحمد لله الّذي يغيّر الأحوال كيف يشاء، ويرشد إلى أحسن الأعمال لأفضل جزاء، ويثبت من سلم إليه الأمر، وتوكّل عليه وفكّر ودبّر وصبر، وأنه وحده يسير جميع الأشياء ويقرّر لها حكمه في السر والخفاء، والصّلاة والسّلام على الرّسول المختار، وعلى آله وصحابته الكرام الأبرار.

أمّا بعد:

إنّ الأدب وسيلة للبوح يستخدمها الأديب ليعبّر عن كلّ ما يختلج في نفسه، ويستغلّها لوصف معاناته، كما يعتبر ــ الأدب ــ أحد العوامل الفاعلة والمجدية لتحقيق التّطوّر والازدهار الفكري والثّقافي في المجتمع؛ فالأدب متغيّر ومستمرّ وهذا ما يجعل منه أداة إيجابية تؤرّخ الأحداث وترسخها.

والأدب الإسلامي جزء لا يتجزّأ من هذا الأدب؛ فالأدب الإسلامي ينطلق بدءا وختاما من الرّؤية الإسلامية بشعره ونثره؛ فيجعل من الأخلاق النّبيلة قيمة أساسيّة من قيمه، ويعطي للفنّان حريّة القول، وصدق التّعبير في نطاق القيم الإسلاميّة، ويتّصل اتّصالا واضحا بأعماق النّفس المسلمة الّتي يصدر عنها، تلك النّفس المشبّعة بالقيم الإسلامية والمروءة والفضائل الكريمة والجميلة، نعم هي فضائل جميلة، لأنّه لا يمكن أن نتحدّث عن الإسلام ونغفل عن الجمال؛ فالإسلام جميل، يحثّ على الجمال وكلّ ما هو إسلامي هو جميل، سواء هندسة إسلاميّة جميلة، أو فنّ إسلامي جميل، أو أدب إسلامي جميل، إذا الأدب الإسلامي لا يتنافى مع الجمال كما يعتقد البعض، بالعكس الأدب الإسلامي يتحدّث عن الجمال بطريقة جميلة.

ولذلك ارتأيت أن أخوض غمار البحث في "الجمال في الأدب الإسلامي ــ أحمد سحنون ــ نموذجا " محاولة الإجابة عن إشكالية معرفية وهي: ماذا نقصد بالأدب الإسلامي؟ وفيما تكمن جماليته؟ وما تجلّيات الجمال في أدب "أحمد سحنون"؟

ولدراسة هذا الموضوع أسباب عديدة تقف وراء اختياري له، وهي رغبتي في إظهار حقيقة مصطلح الأدب الإسلامي وجماليته بصفة عامّة، وجماليّة الأدب الإسلامي الجزائري بصفة خاصة، وذلك بدراسة شعر الشّيخ أحمد سحنون وهو من أهمّ الشّخصيّات المفكرة والمصلحة في الجزائر.

فكان ضبطي للخطّة كالآتي: مقدّمة ومدخل، ثمّ فصلين وخاتمة؛ أمّا المدخل فتناولت فيه مصطلحي "الأدب والجمال" حيث قمت بتعريف كلّ منهما، وبيّنت خصائصهما وفي الأخير استنتجت العلاقة بينهما.

أمّا الفصل الأوّل: فقد عنونته ب "الأبعاد الجماليّة في الأدب الإسلامي"، والّذي من خلاله تطرّقت لماهية الأدب الإسلامي في المبحث الأوّل، وفي المبحث الثّاني التّصوّر الإسلامي للجمال، وفي المبحث الثّالث أبرزت جماليّة الأدب الإسلامي.

ويجيء الفصل الثّاني تطبيقيّا لما قلناه في الفصل الأوّل، وقسمته إلى مبحثين: المبحث الأول كان ترجمة للشّيخ أحمد سحنون" أما المبحث الثاني فأبرزت فيه جمالية الأدب الإسلامي في شعر أحمد سحنون.

ثمّ تأتي الخاتمة مجملة لما ترتّب من نتائج للدّراسة، حيث لخّصت فيها أهمّ ما جاء في البحث.

متبعة في ذلك مقاربة وصفيّة فنيّة، ومعتمدة على بعض المصادر والمراجع الّتي كانت دعما للبحث في هذا الموضوع، أهمّها: "مدخل إلى الأدب الإسلامي" لنجيب الكيلاني، "منهج الفنّ الإسلامي" لمحمد قطب، "جمالية الأدب الإسلامي" لمحمد إقبال عروي، "علم الجمال بين الفلسفة والإبداع" لإنصاف الرّبطي، "تاريخ الأدب العربي" لأحمد حسن الزّيّات.

وقد اعترض البحث مجموعة من الصّعوبات راجعة إلى قلّة المصادر والمراجع المتعلّقة بالأبعاد الجمالية في الأدب الإسلامي.

وحتى نرجع الفضل لأهله أشكر أستاذي المشرف سمير زياني على توجيهاته وإرشاده لي في كثير من الأمور.

وفي الأخير أحمد الله على ما أعانني به من صبر وعون، راجية إيّاه أن يجزيني على الجهد المتواضع، بأجري على الاجتهاد والإصابة، وأن يغفر لي الخطأ والزّلل، والله وليّ التّوفيق.

مدخل

ماهية

الأدب و الجمال

أ. **الأدب:**

1. **تعريف الأدب:**

- **لغة: أدب: الأدبُ**: الّذي يتأدّب به **الأديب** من النّاس، سُمِّيَ أدبا لأنّه يؤدّب النّاس إلى المحامد، وينهاهم عن المقابح. وأصل الأدب الدّعاء، ومنه قيل للصّنيع يُدعى إليه النّاس: مَدعاة و**مأدبة**.

الأدب: الظّرف، وحسن التّناول، **وأدُبَ**، بالضّمّ، فهو أديب من قوم **أدباء**.

و**أدّبهُ**: فتأدّب: علّمه، واستعمله الزّجّاج في الله عزّ وجلّ، فقال: وهذا ما **أدّب** الله تعالى به نبيّه صلّى الله عليه وسلّم[1].

- **اصطلاحا**: يعرّف "على بوم لحم" الأدب في كتابه "في الأدب وفنونه" بصيغة مختصرة فقال:" الأدب هو الكلام الفنّي الجميل الّذي يصوّر الفكر والعاطفة" هذا هو التّحديد الجامع المانع للأدب[2].

إذن، من خلال هذا التّعريف نستطيع أن نقول أنّ "على بوم لحم" جعل من الأدب فنّا يعتمد اللّغة؛ فنعته بالحسن والجمال، ووسيلة يعبّر بها الإنسان أو الأديب عن أفكاره النّيّرة، وخلجات نفسه وقلبه؛ فيعكس لنا آلامه وآماله ويصوّر ما يريد تصويره من مظاهر حياته المعقّدة.

أمّا "أحمد الزّيّات" فيقول "أنّ أدب اللّغة ما أثر عن شعرائها وكتّابها من بدائع القول المشتمل على تصوّر الأخيلة الدّقيقة، وتصوير المعاني الرّقيقة، ممّا يهذّب النّفس ويثقّف اللّسان. وقد يُطلق الأدب على جميع ما صنف في كلّ لغة من البحوث العلميّة والفنون الأدبيّة؛ فشمل كلّ ما أنتجته خواطر العلماء وقرائح الكتّاب والشّعراء".[3]

---

[1] جمال الدّين أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الإفريقي المصري: "لسان العرب"، دار الكتب العلميّة، بيروت ــ لبنان، ط1، 2003ــ 1424، مادّة "أ، د، ب"، ص245.

[2] علي بوملحم: "في الأدب وفنونه"، المطبعة العصريّة للطّباعة والنّشر، د.ط، د.ت، ص1.

[3] أحمد حسن الزّيات:"تاريخ الأدب العربي"، دار نهضة مصر للطّبع والنّشر، القاهرة، ط25، د.ت، ص3.

يعتبر "أحمد الزّيات" أنّ الأدب هو كلّ كلام بديع صدر عن شعراء أو كتّاب، الّذين صوّروا تلك الموضوعات الّتي حرّكت خيالهم الفنّي فيحلّقون بأفكارهم في أجواء بعيدة عن الواقع والحقيقة بتلك المجازات والتّشابيه والكنايات...، كما يعبّرون عن مشاعرهم النّفسيّة الّتي تؤثّر في القارئ وتجعله يعيش هذه العاطفة الجيّاشة المتدفّقة؛ فتهذّب نفسه وتصلحها ويكتسب حسّا مرهفا، وثقافة بليغة.

وما نلاحظه كذلك أنّ "أحمد الزّيات" لم يتوقّف عند هذا الحدّ بل اعتبر ما صُنِّفَ وكُتب بلغة من اللّغات أدبا، حتّى لو كانت الموضوعات علميّة، أي كلّ ما هو نابع عن عالم، أو مفكّر، أو كاتب، أو شاعر فهو أدب.

أما "عبد الحميد بوزوينة" قال:" إنّ الأدب ظاهرة من ظواهر حياة الإنسان نشأت مع نشأته، وحذت حذوه في كلّ اتّجاه، يرقى إذا هو أخذ بأسباب الرّقي، وتنحط إذا نكص على عقبيه، وتجمّد إذا رضى بالجمود واختار لحياته السّكون. فالأدب بهذا ملازم للإنسان ملازمة الهواء له، ولا أرى أيّ ميدان فكري ما عدا الأدب يستطيع القيام بهذا الدّور الضّخم، دور التّعبير عن بواطن الإنسان كلّها ومظاهر نشاطاته جميعها".[1]

وهكذا لم يعد الأدب مجرّد وسيلة للتّعبير، بل أصبح ظاهرة ملازمة للإنسان تتطوّر وتتغيّر حسب تطوّر وتغيّر ظروفه، بل هو الميدان الفكري الوحيد الّذي يستطيع من خلاله الإنسان أن يطلق العنان لأفكاره وأحاسيسه فيسير قدما نحو ارتياد أعماق موضوعاته، دون تقيّد ولا تحفّظ ـــ إن صحّ ذلك ـــ لأنّه في فضاء واسع يحلّق كيفما شاء ومتى شاء.

[1] عبد الحميد بوزوينة: "نظريّة الأدب في ضوء الإسلام، القسم الأوّل: النّظريّة العامّة للأدب"، دار البشير، عمان ـــ الأردن، ط1، 1411ـــ 1990، ص60.

2. عناصر الأدب:

عناصر الأدب كثيرة، إلاّ أنّها تُردُّ إلى أربعة أساسيّة هي: الفكر، العاطفة، الخيال، الأسلوب.[1]

أ) الفكر:

الأديب إنسان ذكيّ يتمتّع بقدرة الملاحظة والفهم، والتّحليل، التّعليل، وعلى هذا الأساس لا يخلو أدب ولا قصيدة من هذا العنصر، ولو كان بسيطا غير جلي، فقد يكون المدار فكرة واحدة مألوفة لدى عامّة النّاس، لكن الأديب يأخذها مأخذا فنيّا جميلا، وهنا تتعاون العناصر الأخرى لتعلي من شأن تلك الفكرة.[2]

إنّ الأديب يأخذ أفكاره من الواقع، وبعض المرّات يأتينا بأفكار مألوفة ولكن بحلّة جديدة، لأنّه يقدّمها لنا من خلال عمل فنّي يعتمد في إنتاجه على العقل، وبالتّالي تظهر وكأنّها فكرة جديدة، وأيّ فكرة فهي فكرة أدبيّة، وطبيعة الفكرة الأدبيّة تختلف تماما عن أيّ فكرة فلسفيّة أو علميّة...، لأنّها تُصاغ بأسلوب جميل مترابط وصحيح، ينسجم مع معطيات الواقع؛ فيجعلها عميقة بعيدة الغور، عالية القيمة.

إذن، الفكر هو عنصر هامّ في الكتابة الأدبيّة، بل هو الانطلاقة الجيّدة للأدب الجيّد، لأنّ حسن التّفكير ينتج عنه عملا أدبيّا فنيّا جميلا.

ب) العاطفة:

ومن قال أنّ الفكرة الأدبيّة قوامها هو العقل فقط؟ ما يميّز الفكرة الأدبيّة أنّها نابعة من عقل مفكّر وعاطفة جيّاشة.

---

[1] عبد الحميد بوزوينة: "نظريّة الأدب في ضوء الإسلام، المرجع السّابق، ص69.

[2] المرجع نفسه، ص71.

إذًا العنصر الثّاني من عناصر الأدب هو العاطفة؛ ففي النّتاج الأدبي تحتلّ العاطفة مركزا هامّا تميّزه عن العلم، ولأنّها تكتب له الخلود بسبب ديمومتها دون تغيّر على مرّ العصور، على نقيض الأفكار، ولأنّها عنصر التّأثير فيه[1].

ومن القضايا المسلّم بها أنّ الأديب لا بدّ أن يعكس ذاتيّته وملامحه النّفسيّة من خلال نتاجه الفنّي، وهذه النّقطة الجوهريّة بمثابة سدّ منيع، بين ما هو أدب وما هو غير أدب[2]؛ فالأديب هو فرد من المجتمع، ويتأثّر بكلّ الظّروف المحيطة به كباقي الأفراد، ولكن ما يميّزه هو قوّة الإحساس، لأنّه -كما قلنا سابقا- لديه قدرة الملاحظة الدّقيقة؛ فهذا الإحساس المرهف يولّد شحنات عاطفية قد تكون وجدانيّة، أو اجتماعيّة، أو وطنيّة، أو إنسانيّة؛ فيعبّر عن حزنه وفرحه، وعن حبّه لوطنه، وتأثّره بمجتمعه، كما يعالج مشكلات الإنسان المعاصر في كلّ مكان.

وأبلغ عاطفة هي العاطفة الصّادقة؛ فمن المهمّ أن يعبّر الأديب عن مشاعره بكلّ صراحة وإخلاص دون تزييف أو كذب، وأرقى عاطفة هي الّتي تتّفق مع الأخلاق؛ فتهذّب نفس القارئ وتصلحها وتجعلها مطمئنّة هادئة.

ج) الخيال:

ينتقل الأديب على أجنحة الخيال يجوب آفاقا لا تحدّ، ويعيش عوالم غريبة عن عالمنا الأرضي تغمرها العجائب والغرائب وتخيم عليها أشباح الأساطير؛ فهو يصدف عن الواقع المحسوس ويحتقره وينظر إليه نظرة ازدراء، ويحلو له أن ينتقده ويسخر منه ويتمرّد عليه لأنّ خياله شيّد له عالما مثاليّا يعتبره كاملا لا يعتريه النقص جميلا لا يشوبه القبح، ولعلّ هذا التّوق إلى الأجمل والأكمل والأحقّ هو الّذي يعطي الأدب قيمته لأنّه يمثّل نزعة الإنسان إلى التّسامي وتخطي ذاته إلى ما هو أبعد.[3]

---

[1] علي بوملحم: "في الأدب وفنونه"، ص5 ــ 6.

[2] عبد الحميد بوزوينة، نظرية الأدب في ضوء الإسلام، القسم الأول: النظرية العامة، ص72.

[3] المرجع السّابق، ص8.

هذا هو الممتع في الأدب أنّه يعتمد على عنصر الخيال ليصوّر الأفكار والأحاسيس، وهو عنصر مشوّق، يضفي على العمل الأدبي جمالا ورونقا من خلال تلك الصّورة المختلفة الّتي تنقل لنا الأشياء كما هي موجودة في الواقع تارة، وتارة أخرى تجعل من الجمادات والكائنات إنسانا يشعر ويحيا، وحينا تمنح للأفكار أجساما، وحينا آخر توحي لنا بمعنى يتجاوز الموضوع إلى معنى بعيد.

والجميل في الخيال الأدبي أنّه ينبع من مصادر مختلفة أهمّها:

*الطّبيعة: ويُراد بها كلّ ما خلقه الله تعالى من مخلوقات، أبسطها وأصغرها وأدقّها إلى أعقدها وأضخمها.[1]

وكذلك دواوين الشّعراء القدامى، وكتب النّثر الفنّي؛ فهي زاخرة بالصّور الفنيّة الجميلة.[2]

د) الأسلوب:

الفكر، والعاطفة، والخيال هي عناصر تتجلّى في اللّغة وهي وسيلة لتجسيد هذه العناصر، بل هي أداة يعبّر بها الإنسان عن جميع أفكاره وانشغالاته ـــ بيد أنّ الاطلاع الواسع على اللّغة ومفرداتها لا يكفي الأدب

والسّر هو في نظم الكلام على حدّ قول "عبد القاهر الجرجاني" أو حبكه أو مزاوجة ألفاظه فيما بينها ليتولّد عنها التّعبير الجميل. كيف يختار الأديب هذه اللّفظة دون تلك، وكيف يضعها في المكان الّذي وضعها فيه، وكيف خطرت له وانهالت عليه الألفاظ الواحدة تلو الأخرى كحبّات العقد؟ هذا كلّه يفسّر بكلمة هي بدورها في حاجة إلى تفسير العبقريّة والتّركيب الذّهني الطّبيعي بما يختصّ به من مزيّة تداعي الأفكار والألفاظ وتذوّقها[3].

[1] عبد الحميد بوزوينة: "نظريّة الأدب في الإسلام"، ص84.

[2] المرجع نفسه، ص88.

[3] علي بوملحم، في الأدب وفنونه، ص10.

3. طبيعة الأدب ووظيفته:

طبيعة الأدب هي أنّه إبداع يعتمد الخيال ويستعين بالكلمة والإيقاع، والتّصوير لتحقيق جماليته[1]؛ فهو يجمع من الفنون الأخرى ما لا تستطيع هي أن تجمع منه[2]. وبالتّالي الأديب له حريّة كبيرة في انتقاء الموضوعات الّتي نالت إعجابه، وتحرّكت مشاعره النّفسيّة، وخياله الفنّي، والمهمّ من هذا هو أنّ طبيعة الأدب إن قبلت موضوعات الحياة؛ فإنّها تجرّدها من خصائصها العلميّة الجافّة لتخرجها في أشكال جديدة، وكلّ هذا بفضل الوسائل الفنيّة الكثيرة الّتي تتوفّر للأديب.[3]

فالأدب إذا هو فنّ، أو عالم الفنّ وسيلته هي اللّغة أو الكلام، حيث يعبّر الأديب بكلّ حريّة عن أيّ موضوع، وبأيّ طريقة شاء، فالأدب يعبّر عن الواقع، عن كلّما هو مألوف بطريقة جديدة كلّها حياة وجمال.

وطبيعة الأدب أكسبته وظيفة جعلته يتميّز عن غيره، وهي تتمثّل في نشر قيم الخير والحبّ والجمال[4].

إذا فوظيفة الأدب هي المتعة والإفادة. وتمثّلا لطبيعة الأدب ووظيفته سندرس ركنين أساسين يمثّلان طبيعة الأدب ووظيفته وهم: الجماليّة والالتزام.[5]

---

[1] اسماعيل ابراهيم المشهدان: "علم الأدب الإسلامي"، وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة، الكويت، ط1، سبتمبر 2013ـــ شوّال 1434، ص52.

[2] عدنان علي رضا النّحوي: "الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته"، منتديات قلعة طرابلس، أبو النّور، دار النّحوي للنّشر والتّوزيع، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط3، 1415ـــ 1994، ص24.

[3] عبد الحميد بوزوينة:" نظريّة الأدب في ضوء الإسلام"، ص63.

[4] اسماعيل ابراهيم المشهداني، ص52.

[5] المرجع نفسه، ص52.

أ) الالتزام:

يرتبط الالتزام بوظيفة الأدب، ويتعلّق بمقاصد الإبداع فهو لم ينحصر بدائرة مغلقة، بل انفتح على عناصر متعدّدة: كالمجتمع والسّياسة، والدّين، والأخلاق، والإيديولوجيا، وقد اهتمّ بالالتزام كثير من التّيّارات المعاصرة كالواقعيّة الاشتراكيّة، والنّقد الأخلاقي الانجليزي، والوجوديّة والنّقد الإسلامي.[1]

أصبح الأدب منفتحا على عدّة مجالات خاصّة الواقع الاجتماعي، السّياسي، الدّيني، وبالتّالي التزم بهذه القضايا، وأضحت وظيفته هي معالجة الواقع.

والالتزام هو الشّكل الواعي المنظّم للأدب، ويعدّ "سارتر" أوّل من بلور مصطلح الالتزام للدّلالة على وظيفة الأدب، وتراه يؤكّد أنّ الأدب ليس مجرّد تعبير جمالي، وإنّما هو موقف يقتضي المسؤولية[2]. إذا الأدب مسؤول وتتمثّل مسؤوليته في التزامه بقضايا أمّته.

ب) الجماليّة:

يعدّ الجمال واحدا من أهمّ معطيات العمل الأدبي، إذ أنّه يدخل في كينونة العمل الأدبي، ولا يمكن أن ينشأ أدب دون ملامح جماليّة.

بل يبدو أنّ للجماليّة استشراقا منطقيّا، ذلك لأنّ هناك فنونا وأشياء جميلة كثيرة ومتنوّعة، يتطلّع الأدب عن طريق الجماليّة إلى الالتحاق بها[3].

ومن هنا سأحاول أن أوجّه حديثي نحو هذا المصطلح: وهو الجمال، الّذي يحمل في طيّاته معاني كثيرة تغيّرت وتطوّرت حسب تطوّر الحضارات والمعارف، إذ تتغاير مفاهيم الجمال وجزئيّاته بحسب المدرسة الفلسفيّة والحياة الثّقافيّة العقديّة، وتطوّر المجتمع الّذي تنطلق منه تلك المفاهيم[4].

---

[1] المرجع السّابق، ص85

[2] إسماعيل إبراهيم المشهداني، ص85.

[3] كريب رمضان:" فلسفة الجمال في النّقد الأدبي، مصطفى ناصف نموذجا"، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 2009، ص63.

[4] علم الأدب الإسلامي، ص53.

ب. الجمال:

1. مفهوم الجمال:

- لغة: **الجمال**: الحسن الكثير، وهو مصدر الجميل، وهو ما يتجمّل به ويتزيّن، وهو ضدّ القبح، والفعل منه جَمُلَ يَجمل، يُقال: **جُمل** ككرُمَ؛ فهو جميل وجُمَالٌ وجُمَّالٌ (بالضّم والتّشديد) على التّكثير أجمل من الجميل، **وجَمَّلَهُ**: أي زيّنه، **والتّجمّل**: تكلّف الجميل، وامرأة جملاء وجميلة، وهي تأخذ ببصرك على البعد، **والتجميل**: زيادة شيء على الأصل.

ويقال جاملت فلانا مجاملة: إذا لم تُصف له المودّة والإخاء، وماسحته بالجميل، والمجاملة: المعاملة بالجميل، ويقال: أجملت في الطّلب: رفقت.

وقد جُمل الرّجل بالضّم والكسر جمال فهو جميل، وتجمّل تجمّلا: تزيّن وتحسّن: إذا اجتلب البهاء والإضاءة[1].

الملاحظ في هذا التّعبير أنّ "ابن منظور" لم يتحدّث عن الجمال الخارجي فقط، أي الّذي تراه العين، وإنّما تحدّث كذلك عن الجمال الدّاخلي الّذي يحسّ به ولا يُرى، وهذا يوحي لنا بأنّه يوجد نوعين من الجمال: الجمال الجسدي أو المظهري، والجمال الدّاخلي الرّوحي.

- اصطلاحا: ليس من الغريب أن يصدر المفهوم الاصطلاحي للجمال من المفهوم اللّغوي؛ فهذا الأخير هو ركيزة أو انطلاقة لدراسة أي مصطلح، حيث اعتمد العلماء في تعريفهم للجمال وقالوا: بأنّه رقّة الحسن، وهو قسمان: جمال مختصّ بالإنسان في ذاته أو شخصه أو فعله، وجمال يصل منه إلى غيره[2]، وهو من الذّوات تناسب الأعضاء، ومن الصّفات ما يتعلّق بالرّضا واللّطف[3]، إذا الجمال هو صفة موجودة في الإنسان، في شكله، في قوله، في فعله، وتصرّفاته.

---

[1] ابن منظور: "لسان العرب"، المادّة " ج. م. ل"، ص126.

[2] جميل علي السّورجي: "مفهوم الجمال في الفكر الإسلامي"، مجلّة الشّريعة والدّراسات الإسلاميّة، ع20، 1433ـــ 2012، ص24.

[3] المرجع نفسه، ص27.

والجمال صفة متحقّقة في الأشياء، وهو سمة بارزة من سمات هذا الوجود، والنّفس تفطن إلى الجمال وتحسّه، وتستجيب إليه، ولكن حظّ هذه النّفوس منه متفاوت، وهي تدركه بداهة بغير تفكير، وتستقبله في فرح وسرور.[1]

إذا الجمال حقيقة موجودة في جميع الأشياء والمخلوقات، نكتشفه عن طريق النّفس الذّائقة، ونشعر به ونتفاعل معه بطريقة بديهيّة؛ فيبثّ فينا إحساسا بالرّاحة والانسجام، والفرح، ولكن هذا التّفاعل يتفاوت من نفس إلى أخرى حسب ميولاتها ورغباتها وذوقها.

ويرى المتصوّفون أنّ الجمال الحقيقي هو: الجمال الإلهي، وهو من صفات الله الأزليّة شاهدها في ذاته أزلا مشاهدة علمية، ثمّ أراد أن يشاهدها مشاهدة عينيّة في أفعاله. والجمال الإلهي ـــ فيما يقول الصّوفية نوعان: جمال معنوي وجمال صوري؛ فالجمال المعنوي هو: معاني الصّفات الإلهيّة والأسماء الحسنى، وهذا النّوع لا يشهده إلاّ الله، أمّا الجمال الصّوري فهو هذا العالم الّذي يترجم عن الجمال الإلهي.

فإنّ الصّوفيّة يؤكّدون على أنّ "الحسن" وصف أصيل في كلّ ما خلق الله تعالى.[2]

ولعلّ الجمال في التّفكير البشري بدأ منذ فجر البشريّة، بيد أنّ التّفكير الجمالي المنهج والمدروس بدأ مع الفكر اليوناني الأرسطي، وأصبحت النّظرة إلى الجمال، نظرة إلى صورة معيّنة يمكن رصدها، وليست تصوّرا مجرّدا، وقد مهّد ذلك التّفكير لتطوّر مفهوم الجمال[3].

وعلى هذا الأساس سأحاول أن أفصل بين مفهوم الجمال عند العرب وعند الغرب، وأحدّد نقاط الاختلاف أو التّشابه بينهما.

2. مفهوم الجمال عند الغرب:

[1] محمّد قطب: "منهج الفنّ الإسلامي"، دار الشّروق، بيروت، ط6، 1983، ص310.

[2] معجم الفلاسفة، دار نزهة الألباب، ص17.

[3] إسماعيل إبراهيم المشهداني:" علم الأدب الإسلامي"، ص 54.

الحضارة الإغريقيّة، كانت الحضارة الأولى الّتي اهتمّت بالحكم الجمالي، وأفرزت فكرا نقديّا على الفنون، ومن أبرز هؤلاء سقراط، وأفلاطون، وأرسطو، وهكذا تكوّنت بذور النّقد الفنّي النّظريّة في القرن الخامس قبل الميلاد حيث كان هؤلاء الفلاسفة هم أوّل من كتب في فلسفة الفنّ والجمال، وهكذا ارتبط النّقد الفنّي بفلسفة الفنّ وعلم الجمال[1].

وهناك طائفة تحدّثت عن الجمال وحاولت تفسير مفهومه منطلقة من فلسفتها الخاصّة، سبقت هؤلاء الفلاسفة، وهي طائفة السفسطائيين الّتي رأت أنّ الجمال ذاتي[2]، و لم تربطه بقيم المعرفة والحقيقة وبالقيم الدّينيّة، بل نظروا إليه على أنّه مصدر إنساني، ونظروا للفنّ على أنّه ظاهرة بشريّة لا تعود إلى مصدر إلهي أو أصل مقدّس، وبما أنّ هذه القيم بشريّة إذن فالقيم الجماليّة يمكن أن تتغيّر وتتبدّل حسب اختلاف الزّمان والمكان[3]

أمّا سقراط فيرى أنّ الفنّ ما كان منه صناعيّا أو جميلا له وظيفة تخدم الحياة الإنسانيّة خاصّة الأخلاقيّة منها. والجمال هو الهادف والّذي يحقّق الفائدة أو الغاية الأخلاقية العليا، ويعني سقراط بالجمال الّذي يحدّد النّفع في تحقيق المفيد المحقق لخير ما. إذا سقراط يهتمّ بجمال النّفس والخلق الفاضل[4].

ثمّ أفلاطون يعرّف الجمال على أنّه يوجد في النّظام والتّناسب وفي كلّ ما يخضع للعدد والقياس، ويصف اللّذّة الجماليّة المستمدّة من تذوّق الفنون بأنّها تنشأ من إحساس بجمال الألوان، والأشكال والأصوات ولا تكون مصحوبة بألم.[5]

---

[1] محمد علي غوري*:"مدخل إلى نظريّة الجمال في النّقد العربي القديم"، مجلّة القسم العربي جامعة بنجاب لاهور ــ باكستان، العدد الثّامن عشر،2011، ص127.

[2] المرجع نفسه، ص127.

[3] انصاف الرّبطي: "علم الجمال بين الفلسفة والإبداع"، دار الفكر، عمان، ط2، 2007ــ 1428، ص14.

[4] المرجع نفسه، ص20.

[5] المرجع نفسه، ص28.

ومن أهمّ فلاسفة الحضارة الرّومانيّة "أفلوطين" الّذي يرى أنّ الجمال هو موضوع محبّة النّفس لأنّه من طبيعتها، وهو ينتمي إلى عالم الحقائق العقليّة، وطبيعة أقرب إلى النّفس منه إلى طبيعة المادّة. ويقول: "عندما تصادف النّفس ما هو جميل تندفع نحوه لأنّها تتعرّف عليه إذ أنّه من طبيعة مشابهة لطبيعتها.[1]

وفي عصر النّهضة الأوروبيّة نجد "هيجل" الّذي يستبعد جمال الطّبيعة، ويدرج الجمال الطّبيعي على صعيد جمال الفنّ؛ فجمال الفنّ هو أرقى من جمال الطّبيعة لأنّه متولّد من الرّوح وتعاد ولادته من جديد، وكلّما ارتقت الرّوح ومنتجاتها فوق الطّبيعة وظواهرها ارتقى أيضا أكثر جمال الفنّ على جمال الطّبيعة.[2] إذا يرى هيجل أنّ الجمال يقتصر على الفنّ وليس الطّبيعة، لأنّه أرقى منها، إذا الإنسان هو مصدر الجمال.

وهكذا تباينت الآراء واختلف مفهوم الجمال من حضارة إلى أخرى، وأصبح لكلّ ناقد فلسفته الجماليّة؛ فتحوّلت قضيّة الجمال من كونها مفهوما من المفاهيم العامّة إلى نظريّة لها أسسها وقواعدها الذّوقيّة والفكريّة.

3. مفهوم الجمال عند العرب:

لقد عرف العرب الجمال منذ العصر الجاهلي وهذا واضح من خلال وصفهم لجمال المرأة، والطّبيعة، والجمال والخيول... وهو جمال مادّي أمّا الجمال المعنوي فهو ظاهر من خلال حديثهم عن الصّفات الّتي عُرف بها العرب من كرم وشجاعة وفروسيّة وأمانة وذكاء. وهذا دليل على أنّهم كانت لديهم نزعة حسيّة لتذوّق الجمال.

وحين جاء الإسلام وجّه الحسّ البشري إلى الجمال في كلّ شيء، وسعى إلى تحريك الحواس المتبلدة لتنفعل مع كلّ شيء في هذا الكون. يقول "محمد قطب": "والفنّ الصّحيح هو الّذي يهيئ اللّقاء الكامل

---

[1] انصاف الرّبطي، ص40.

[2] فريد ريك هيجل: "محاضرات عن الفنّ الجميل، علم الجمال"، الحلقة الأولى، علم الجمال وفلسفة الفنّ"، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، مكتبة دار الكلمة، القاهرة، مصر، ط1، 2010، ص26.

بين الجمال والحقّ؛ فالجمال حقيقة في هذا الكون، والحقّ هو ذروة الجمال، ومن هنا يلتقيان في القمّة الّتي تلتقي عندها كلّ حقائق الوجود".[1]

ووجّه الإسلام الإنسان إلى أن يلاحظ الانسجام بين الأشياء وما فيها من أسرار الجمال[2]، قال الله تعالى: ﴿أَفَلاَ يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِّحَتْ﴾.[3]

يريد الله تعالى أن يوجّه الإنسان ليتأمّل في الأشياء من حوله، الّتي ينتبه إليها لتعوّده عليها ولرتابتها؛ فالتّأمّل يوقظ الحسّ الجمالي في نفسيّة الإنسان.

[1] محمد قطب: "منهج الفنّ الإسلامي"، ص6.

[2] محمد علي غوري: "مدخل إلى نظريّة الجمال في النّقد العربي القديم"، ص131.

[3] سورة الغاشية: {الآية: 17ــ 18ــ 19}.

وقال عزّمن قائل: ﴿وَلَقَدْ زيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾[1] وقال: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَالَهَا مِنْ فُرُوج﴾[2]، وقال: ﴿والخَيْلَ والبِغَالَ والحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾[3].

نلاحظ من خلال هذه الآيات أنّ كلمة "زينة" وردت في القرآن الكريم ودلالتها هي التّنبيه لجمال الطّبيعة.

والاتّزان والتّسوية والتّساوي في الأقدار والموازين من تمام الانسجام الّذي يثير فينا حاسّة الجمال، ومن ذلك قول الله تعالى: "والأَرْض مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ".[4]

ومن أسماء الله الحسنى الجميل؛ ففي حديث الرّسول صلّى الله عليه وسلّم: "إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى إِخْوَانِهِ فَلْيُهَيِّئْ مِنْ نَفْسِهِ، فَإِنَّ اللّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَال"، وقوله صلّى الله عليه وسلّم: "إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا"، والسّحر دائما يقترن بالجمال، ومن هنا نخلص إلى القرآن الكريم والسّنّة النّبويّة كان لهما حرص شديد على تربية الذّوق الجمالي في الإنسان المسلم.

يوضّح "عماد الدّين خليل" مصطلح الجمال بأنّه: "ذلك الإبداع الّذي يتضمّن قدرا من التّناسب والتّناظر والإحكام والإثارة، والّذي يبعث في النّفس الدّهشة والتّجاوب والإعجاب والانسجام، ويمنحها قدرا من التّوحّد والتّناغم والامتلاء". ويعرّفه في موضع آخر بأنّه "الّذي يكسر قشرة الاعتياد والرّكون والملل... فيدفعه إلى الدّهشة والتّجدّد والحركة".

ويرى أنّ الجمال يتضمّن "دوائر ثلاث تضمّ أولاها الكون والوجود والحياة والإنسان بحثا عن عناصر الجمال... وتنطوي ثانيتها على النّشاط الأدبي والفنّي باعتباره نشاطا جماليّا... أمّا ثالثتها فتتمركز عند تاريخ الجمال وفلسفته"[5].

---

[1] سورة الملك: {الآية: 5}.
[2] سورة ق: {الآية: 6}.
[3] سورة النّحل: {الآية: 8}.
[4] سورة الحجر: {الآية: 19}.
[5] علم الأدب الإسلامي، ص56.

الملاحظ في تعريف "عماد الدّين خليل" أنّه نعت الجمال بذلك الإنتاج الفنّي المتساوي المتّزن الّذي يؤثّر في النّفس ويجعلها تتفاعل معه، وهو الّذي يخلق من المألوف جديدا.

كما نصادف هذه النّظرة عند "المنفلوطي"، إذ هو يرى "أنّ الجمال تناسبا بين أجزاء الهيئات المركّبة، سواء أكان ذلك في الماديّات أم في المعقولات، وفي الحقائق أم في الخيالات"[1].

ومن خلال هذه المفاهيم سواء عند العرب أو الغرب، أستنتج أنّها اتّفقت في أنّ الجمال يقوم على النّظام والتّوازي، وأنّ النّفس تتأثّر به وتنسجم معه، لأنّه يعكس الأخلاق الّتي تتّصف بها.

أمّا نقاط الاختلاف هي: أنّ الجمال مصدره عند العرب هو الله سبحانه وتعالى الّذي بعثه من خلال خلقه للطّبيعة والكائنات، أمّا الغرب فيرون أنّ الجمال ذاتي ومصره هو الإنسان، وجمال الفنّ هو أرقى من جمال الطّبيعة.

وفي الأخير أخلص إلى أنّ الأدب والجمال يشكّلان ثنائيّة متلازمة، لأنّ الأدب هو فنّ ومن مقوّماته الفنيّة الاستعارة، والرّمز، والخيال، والصورة بمكوّناتها الفنيّة المختلفة، والفنّ لا يخلو من الجمال؛ فهو إبداع إنساني لأشياء جميلة، والجمال كما ذكرنا سابقا هو منبعث من الفنّ، أي العمل الفنّي هو الّذي يخلق الجمال.

وكما جاء في كتاب "كريب رمضان" أنّ غاية المنهج الجمالي الأولى هي خدمة النّص الأدبي وذلك بدراسة العلاقات الدّاخليّة بين ألفاظه وصوره".[2]

وهذا ما سأحاول التّطرّق له من خلال الفصل الأوّل وهو إبراز مواطن الجمال في الأدب، وبصفة خاصّة الأدب الإسلامي.

[1] كريب رمضان: "فلسفة الجمال في النّقد الأدبي، مصطفى ناصف نموذجا"، ص35.
[2] المرجع نفسه، ص124.

الفصل الأول

الأبعاد الجمالية في الأدب الإسلامي.

المبحث الأول: ماهية الأدب الإسلامي :

مرّ الأدب بعدّة مراحل وعصور وكلّ عصر يختلف عن الآخر، وأهمّ عصر ساهم في هذا الاختلاف أو التّغيّر هو عصر صدر الإسلام، ويبتدئ مع ظهور الإسلام الّذي أحدث تحوّلا جذريّا في حياة الأمّة العربيّة عامّة، وفي الحياة الأدبيّة خاصّة، شعرا ونثرا، حيث أكسبه حلّة جديدة مغايرة عن العصر الجاهلي؛ فأبطل بعض تلك الآداب، ونوّع بعضها الآخر، وأحدث آدابا جديدة لم تكن من قبل، وأوجد مبادئ خلقية تلائم تعاليمه وروحه؛ فانعكست في النّتاج الأدبي.

وما يميّز الأدب كذلك في هذا العصر هو سماته الفنيّة وأغراضه ومعانيه المستمدّة من القرآن الكريم ومن المعاني الإسلامية، ومحاكاة الأسلوب القرآني الجميل والاستعانة بالصّور والأمثال القرآنية، وهكذا أصبح يسمّى هذا الأدب " الأدب الإسلامي".

1. تعريف الأدب الإسلامي:

تعرّف "رابطة الأدب الإسلامي" الأدب الإسلامي أنّه ذلك التّعبير الفنّي الهادف عن الإنسان والحياة والكون وفق التّصور الإسلامي[1]. المقصود هنا، هو ذلك الأدب الّذي يتحدّث عن شؤون الإنسان والحياة والكون انطلاقا من مبادئ وتعاليم إسلامية.

أمّا "نجيب الكيلاني" فيعرّف الأدب الإسلامي على أنّه تعبير فنّي جميل مؤثّر، نابع من ذات مؤمنة مترجم عن الحياة والإنسان والكون، وفق الأسس العقائدية للمسلم، وباعث للمتعة والمنفعة.[2]

يرى نجيب الكيلاني أنّ الأدب الإسلامي، هو صادر عن أديب مؤمن، يبيّن من خلاله حقيقة الحياة والإنسان والكون، توافقا مع عقيدة الإنسان المسلم فهو أدب ممتع يسلّي القارئ المسلم ويفيده بمعلومات دينيّة في نفس الوقت.

---

[1] عبد القدوس أبو صالح، شبهة المصطلح، مجلّة الأدب الإسلامي، السّنة الثّانية، مج 2، ع8، لسنة 1995، ص8، رابطة الأدب الإسلامي على الموقع الإلكتروني www.adabislami.org

[2] نجيب الكيلاني: "مدخل إلى الأدب الإسلامي"، كتاب الأمّة، قطر،1987، ص36.

ولا نجد تعريف الأدب الإسلامي يختلف كثيرا عند "محمد قطب" و "عماد الدّين خليل"؛ فمحمد قطب يقول: "الأدب الإسلامي هو التّعبير عن الكون والحياة والإنسان من خلال تصوّر الإسلام للكون والحياة والإنسان".[1]

أمّا "عماد الدّين خليل" فيعرّفه أنّه تعبير جمالي مؤثّر بالكلمة عن التّصوّر الإسلامي للوجود[2].

هذان التّعريفان يوحيان إلى أنّ الأدب الإسلامي، هو ذلك الأدب الّذي يعبّر عن الوجود من إنسان وحياة وكون، مثل ما يعبّر عنه ويراه الدّين الإسلامي. وهذا ما نلتمسه كذلك في تعريف "محمد حسن بريغش" للأدب الإسلامي بأنّه "التّعبير الفنّي الجميل للأديب المسلم عن تجربته في الحياة من خلال التّصوّر الإسلامي"[3].

بالنّسبة إلى الإسلام، الأدب قد يكون مغلوبا بالصّبغة الدّينية كما يكون في الابتهالات والدّعاء والوعظ الدّيني، وقد يكون في إطار الحياة العامّة الملتزمة بالإسلام، والحياة في الإسلام حياة واسعة تتّسع مع تنوّع الحاجات الإنسانيّة وأحوالها وشؤونها، ولذلك لا يعجز الأدب في الإسلام عن تلبية حاجات الإنسان الطّبيعيّة ولا عن التّمثيل لصور الحياة الإنسانيّة المتنوّعة الكثيرة[4].

والأدب الإسلامي هو الّذي تتمثّل فيه روح الإسلام فكرة وعاطفة؛ فيجيء ذا طابع إسلامي متميّز، يختلف بخصائصه عن الآداب الأخرى.

2. ظهور مصطلح الأدب الإسلامي:

الأدب الإسلامي هو أدب الحياة، ففيه من الغنى والتّواصل والانفتاح ما يكفل له الازدهار والمواكبة، ومصطلح "الأدب الإسلامي" مصطلح قديم وحديث ــ كما يقول حسن الأمراني ــ هو قديم

---

[1] محمد قطب: "منهج الفن الإسلامي"، ص6.

[2] عماد الدّين خليل: "مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي"، مؤسّسة الرّسالة، ط2، بيروت، 1988، ص69.

[3] اسماعيل ابراهيم المشهداني: "علم الأدب الإسلامي"، ص28.

[4] سيّد عبد الماجد الغوري: "العلاّمة أبو الحسن النّدوي رائد الأدب الإسلامي"، دار ابن كثير، ط1، دمشق ــ بيروت،1430هـ ــ 2009م، ص27.

باعتبار الميلاد والنّشأة وهو حديث باعتبار التّداول والدّلالة[1]؛ فعرف الأدب الإسلامي منذ ظهور الإسلام وكانت له مميّزات خاصّة به، حتّى كان يُقال هذا أدب جاهلي وهذا أدب إسلامي؛ فالأدب الإسلامي هو أدب جديد من جهة وضعه في مناهج الدّراسة الأدبيّة في دور العلم ومعاهده.

وعلى هذا الأساس نجد أنّ هناك اختلاف حول تاريخ ولادة مصطلح الأدب الإسلامي في العصر الحديث، وأوّل من دعا إلى الأدب الإسلامي.

سأحاول أن أعرض جملة من الآراء حول هذه القضيّة.

المُتّفق عليه هو أنّ ظهور مصطلح "الأدب الإسلامي" بمفهومه الحديث يعود إلى الشّخصيّات التّالية: "فضيلة الشّيخ أبو الحسن علي النّدوي"، وشهيد المسلمين الأديب النّاقد "سيّد قطب" الّذي تأثّر به أخوه "محمّد قطب" والدّكتور "نجيب الكيلاني"، والدّكتور "عماد الدّين خليل".

فقد كان للعلاّمة "النّدوي" دور الرّيادة في عقد مؤتمرات الأدب الإسلامي وكان لهذه المؤتمرات أثر كبير في نشر وتطوير قضيّة الأدب الإسلامي فأوّل مؤتمر دولي للأدب الإسلامي عُقد بدعوته وتحت رعايته كان عام 1401هـ ـ 1981م في "ندوة العلماء" بمدينة لكهنو بالهند، وهي الهيئة الإسلامية العريقة الّتي كان يديرها، وقد شجّع هذه المؤتمرات جهات أخرى على عقد مؤتمرات وندوات ولقاءات دولية وإقليمية.[2]

ثمّ تلاه "سيّد قطب " الّذي كتب مقالا في هذا الموضوع ثمّ نشره في كتابه "التّاريخ... فكرة ومنهاج" وقد نبّه في هذا المقال إلى وجود أدب إسلامي متميّز ودعا إليه وحضّ عليه؛ فكان أوّل من استجاب لدعوته أخوه الأستاذ "محمّد قطب" حيث ألّف كتابه "منهج الفنّ الإسلامي" سنة 1961م؛ فكان كتابه أوّل كتاب نُشر في هذا الموضوع[3]. وبعده ظهر "نجيب الكيلاني" في كتابه "الإسلاميّة

---

[1] ـ لخضر العرابي: "الأدب الإسلامي ماهيته ومجالاته"، دار الغرب للنّشر والتّوزيع، وهران، ص12.

[2] سيّد عبد الماجد الغوري: "العلاّمة أبو الحسن النّدوي رائد الأدب الإسلامي"، ص40.

[3] ماجد بن محمّد الماجد*:"الأدب الإسلامي. مراجعات في النّشأة والخصائص"، "بحث ترقية"، الرّياض ـ السّعوديّة، .www.pdffactory.com

والمذاهب الأدبية" سنة 1963م، حيث سعى إلى أن يكمّل ما نقص؛ فجعل كتابه خاصّا بالأدب، وتحدّث فيه عن العلاقة بين الدّين والأدب، وقدّم نماذج شعريّة ونثريّة من الأدب الإسلامي قديمة وحديثة[1]، وتتابع هذا الكتاب سلسلة من الكتب تعدّ من أهمّ الكتب التّنظيريّة المبكّرة للأدب الإسلامي مثل: "آفاق الأدب الإسلامي" و "مدخل إلى الأدب الإسلامي".

وأخيرا وليس آخرا "عماد الدّين خليل" الّذي خطا خطوة رائدة متقدّمة بكتابه "في النّقد الإسلامي المعاصر" عام 1392هـ ـ1972م كما أصدر "محاولات جديدة في النّقد الإسلامي" عام 1401هـ ـ1981م. [2]

وهكذا أطلقت هذه الشّخصيّات العنان لعديد من الأدباء والنّقاد، للكتابة في الأدب الإسلامي ز معالجة قضاياه حتّى أصبح علما قائما بذاته، مُعرّضا لدراسات نقدية أدبيّة متميّزا بقيمه الفنيَة وخصائصه، الّتي سأذكرها في العنصر الموالي.

3. خصائص الأدب الإسلامي:

الأدب الإسلامي "مذهب أدبي له خصائصه الفكريّة والفنيّة الّتي تعبّر عن شخصيتنا الإسلامية وتراثنا، وقاعدته الفكريّة الّتي ينطلق منها هي الإسلام، وهو أرقى وأشمل في نظرته للكون والإنسان من كلّ الفلسفات المثاليّة والعقليّة والماديّة الّتي قامت عليها المذاهب الأدبيّة المختلفة".[3]

من خصائص الأدب الإسلامي نذكر:

---

[1] حسن بن حجبا بن يحي الحازمي: "إسهامات نجيب الكيلاني في التّنظير للأدب الإسلامي"، ص4.

[2] المرجع السّابق، ص5.

[3] محمّد مصطفى هدّارة: "موقف الأدب الإسلامي من المذاهب الأدبيّة المعاصرة، مجلّة الأدب الإسلامي، ع4، سنة 1944، ص8.

أ) الغائية:

الأدب الإسلامي أدب غائي موجّه[1]، أدب عامل مجاهد، أدب هادف، قام على علم بمنهاج الله وعلم الوقائع؛ فأصبح له نهجه وهدفه ومهمّته وأمانته[2]، يعني أنّ الأدب الإسلامي لا يُكتب لأجل فنيّته، بل غايته أبعد من ذلك، وهي إصلاح النّفوس وترسيخ الإيمان بالله تعالى في الصّدور ونشر الخير والحبّ في المجتمعات، خاصّة أنّه يقوم على منهج إسلامي والإسلام جعل للحياة هدفا وغاية.

ب) الالتزام:

الأدب الإسلامي هو أدب العقيدة، أدب الإيمان، ينطلق من عقيدة، ويصدر عن إيمان، عقيدة تحكم الفرد والأمّة، وإيمان يضبط الشّعور والكلمة[3]؛ فهو ملتزم بالتّصوّر الإسلامي، يعني أنّ الأديب المسلم عندما يعالج أي قضيّة سواء اجتماعية، أو سياسيّة، أو إنسانيّة، يعالجها وفق مبادئه ومعتقداته الإسلاميّة.

يقول أحد الأدباء الإسلاميّين: "لا أستطيع أن أتصوّر أديبا على الحقيقة غير ملتزم، لأنّي أفهم الالتزام صدق التّعبير عن واقع النّفس والفكر ومن هنا يكون الالتزام انعكاسا للذّات... وتتفاوت ألوان الالتزام فيكون أديب صالحا وآخر فاسدا وكلّ منهما ملتزم في نطاق صدقه في التّعبير عن ذاته"[4] وحقيقة الأديب المسلم هي أنّه يقوم على العقيدة والأخلاق وعليه أن يراعي هذه الحقيقة ويجسّدها ويمثّلها في فنّه. والجميل في الالتزام الإسلامي أنّه لا يعفي الأديب من شروط الجودة الفنيّة ومقاييس الجمال الأدبي؛ فليست الغاية من الالتزام ضعف الأدب وركاكته وجفافه مهما يكن سموّ مضمونه وطهارة ما يدعو إليه،

---

[1] الأدب الإسلامي مراجعات في النّشأة والخصائص، ص10.

[2] عدنان علي رضا النّحوي:" الأدب الإسلامي إنسانيّته وعالميّته"، منتديات قلعة طرابلس أبو النّور، دار النّحوي، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط3، 1415هـ ـ 1994م، ص46.

[3] المرجع نفسه، ص43.

[4] محمد المجذوب:" تحفة اللّبيب"، النّادي الأدبي، المدينة المنوّرة، ط1، 1404هـ، ص322.

بل غايته التّعبير الجميل الصّادق عن النّظرة الإسلاميّة المثاليّة ليكون المضمون والشّكل على السّواء متعة للعقل والوجدان وزادا للتّذوّق.[1]

ج) الواقعيّة:

الأدب الإسلامي أدب يعيش الواقع والحقيقة كما يراها من خلال الإيمان والعقيدة. إنّه يعيش الأحداث بأحزانها وأفراحها، بآلامها وعافيتها، وبعسرها ويسرها، إنّه يرى الواقع من خلال المنهاج الرّباني، لا من خلال رغباته ومصالحه، أو أحلامه ومطامعه[2]؛ فالأدب الإسلامي ينظر إلى الواقع نظرة شاملة، ولا يحصر واقع الإنسان في حيّز ضيّق، لأنّه يسلّط الضّوء على جميع جوانب البشر، وتطوّراتها الاجتماعيّة والاقتصاديّة والفكريّة والرّوحيّة.

د) الإيجابيّة:

يرى دعاة الأدب الإسلامي أنّ أدبهم إيجابي متطوّر[3]، أدب ينمو في قوّته وامتداده، ينمو في أسلوبه وأداته، ينمو في موضوعاته وميادينه، وهي صفات استقاها من التّصوّر الإسلامي بعامّة؛ فهو لا يعرف السّلبيّة والاستسلام.

ه) الموضوعية:

يخطئ من يظنّ أنّ الأدب الإسلامي قاصرا على ما يسمّى بأدب الدّعوة الإسلامية، كما يخطئ من يظنّ أنّه ليس للأديب المسلم أن يعبّر عن تجاربه الذّاتية، وأن يبدع في سائر الأغراض الشّعريّة والفنون الأدبيّة المختلفة[4]. إذا؛ فالأدب الإسلامي ليس الأدب الّذي يتحدّث عن حقائق العقيدة، والمواعظ والإرشادات، أو التّعبير عن الإسلام وأحكامه وتاريخه... فقط، بل مجالات الأدب الإسلامي فسيحة جدّا تشتمل كلّ حقائق الوجود. وهذا ما سأشير إليه بعد قليل.

---

[1] محمّد مصطفى هدارة: "بحث الالتزام في الأدب الإسلامي "، بحوث ندوة الأدب الإسلامي عام 1405هـ، ص35.

[2] الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته، ص43.

[3] ماجد بن محمد الماجد: "الأدب الإسلامي... مراجعات في النّشأة والخصائص"، ص13.

[4] محمد قطب، منهج الفنّ الإسلامي، ص121.

وفي الأخير، أخلص إلى أنّ الأدب الإسلامي، بهذه الخصائص، يظلّ أدبا منفتحا على الحياة والأفكار والمناهج في إطار الجمال المبدع، بعيدا عن التّزييف والتّناقض، إنّه مرن جدّا وبإمكانه أن يأخذ من كلّ المذاهب ويزيد عليها في سعة نظرته الكونية وعمقها وشمولها.

4. مجالات الأدب الإسلامي:

ليس من الضّروري كما يقول محمد قطب:" أن يتحدّث الفنّ الإسلامي عن الإسلام: حقائقه، وعقائده وشخصياته، وأحداثه، وإن كان الجائز بطبيعة الحال أن يتناول كلّ هذه الموضوعات... ولكنّه يتناولها، كما يتناول الوجود كلّه، وكلّ ما يجري من زاوية إسلامية، ويستشعرها بحسّ إسلامي"[1]؛ فمجالات الأدب الإسلامي هي كلّ مجالات الكون وما فيه من كائنات.

1) الإنسان[2]:

يمتاز الأدب الإسلامي بما فيه من روعة وجمال وتصوير فائق لمواهب الإنسان وقدراته العقليّة ونشاطاته الفعّالة؛ فيصوّره على أنّه كائن حيّ متكامل من حيث حياته الرّوحيّة والماديّة، ويرفض الفصل بين القيم الرّوحية والماديّة، ويعرض حياة الإنسان من جميع جوانبها وفي كلّ لحظاتها.

كما أنّ الأدب الإسلامي يرى في الإنسان خليفة الله في الأرض تتنازعه قوّتان: قوّة الخير وقوّة الشّر؛ ففي تصوير المعركة الدّائرة على أشدّها من الخير والشّر، من الإنسان وشهواته يجد الأدب الإسلامي ميدانا خصبا للإبداع الفنّي الأصيل[3].

2) العاطفة:

يهدف الإسلام إلى طمأنينة الإنسان، ويعمل على تحقيق سعادته، وله اطّلاع واسع على الحياة الإنسانيّة من جميع جوانبها، ومعرفة عميقة بأبعاد النّفس الإنسانيّة، في مختلف حالاتها ومجالاتها.

---

[1] محمد قطب، منهج الفنّ الإسلامي، المرجع السّابق، ص177.

[2] لخضر العرابي: "الأدب الإسلامي ماهيته ومجالاته"، ص187.

[3] ينظر: نفس المرجع، ص190 ــ 191.

فالأدب الإسلامي لا يتحرّج من تصوير عواطف الحبّ، إن كانت هذه العواطف وهي فطريّة في صميم الخلقة... والحديث عنها ووصفها وإبرازها في صورة فنيّة جميلة موحية، جزء من مهمّة الفنّ الإسلامي الحديث[1]. إذا؛ فهو يُقدّر الحبّ، وكمثال على ذلك أذكر "الغزل العذري" الّذي بلغ ذروته في العصر الأموي ولكن كان ظهوره قبل ذلك أي فيعصر صدر الإسلام وخير مثال على ذلك قصيدة "بانت سعاد" "لكعب بن زهير" الّتي يقول فيها:

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِيَ اليَوْمَ مبْتُــولُ مُتَيَّم إِثْرُهَا لـــــــــم يفـــــــــد مَبْتُـــــــــولُ

وَمَا سُعَادُ غُدَاةَ البَيْن إذْ رّحّلُوا إلاَّ أغن غّضِيضُ الطَرْف مكْحُولُ

والنّاظر في هذه القصيدة يرى أنّها تحتوي على مقدّمة غزليّة، يصف فيها الشّعر حبيبته بأحسن الأوصاف، ومع ذلك قيلت في بيت من بيوت الله، واحتضنها ببردته رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

هذا يعني أنّ الإسلام لا يرفض الغزل العفيف، الّذي يكون فيه التّعبير مقرونا بالعفّة والطّهارة، لأنّه مقيّد بقواعد الإسلام.

3) الجمال:

لّما جاء الإسلام لفت كثيرا انتباه الإنسان العربي إلى مظاهر الجمال في الكون والفضل يعود إلى القرآن الكريم الّذي دعا إلى تأمّل الكون وما فيه من مخلوقات؛ فهو رسّخ صورة الجمال في معنى واسع ونطاق شامل، جعل النّفس البشريّة ترتفع من حدود الحسّ القريبة ومن قيمتها المحدودة الضّيّقة، إلى عالم أوسع وأفسح، ومجالات شعوريّة أرفع وأعلى[2].

إذا للإسلام تصوّرا خاصّا للجمال، وخذا ما سنشير إليه في المبحث الموالي.

[1] منهج الفنّ الإسلامي، ص109.

[2] من بدائع الإسلام، ص219.

المبحث الثاني: التصوّر الإسلامي للجمال

الجمال سمة بارزة في الكون، اهتمّ به الفلاسفة والنّقّاد أُسّست له نظريات ومذاهب، واختلفت مفاهيمه، هذا ما أشرنا إليه سابقان أمّا الآن سأعرض الجمال حسب التّصوّر الإسلامي؛ فهو الجانب أو التّصوّر الحقيقي للجمال لأنّه ينطلق من حقائق ربّانيّة دينيّة في قول الرّسول صلّى الله عليه وسلّم: " إنَّ اللّهَ جميلٌ يُحِبُّ الجَمَال"[1]، وإذا تحدّثنا عن جمال الله سبحانه وتعالى؛ فهو ظاهر من خلال خلقه لهذا الكون من جماد وحياة... وهو يجسّد الجمال المادّي، أمّا صفات الله عزّ وجلّ الرّحيم الغفور، اللّطيف، الكريم؛ فهي تجسّد اجمال المعنوي، وهذا على الأساس سأتحدّث عن الجمال في التّصوير الإسلامي من شقّين: الجمال المادّي، و الجمال المعنوي.

1. الجمال المادّي:

أو جمال الظّاهر، وهو ذلك الجمال الّذي ندركه بالبصر فترتاح له البصيرة وتنجذب إليه وتتعلّق به النّفس، هو ذلك الجمال الّذي يعبّر عن تلك الدّقّة الّتي تبدو في كل شيء. في مطلع الصّبح ومغرب الشّمس، في لون الزّهرة الصّغيرة المتعدّدة الألوان، الّتي تنبت في سهولة ويسر، حاملة ألوانها على السّليقة بلا كدّ ولا إرهاق[2]. ومن الجمال المادّي:

أ) **جمال الكون:** خلق الله تعالى هذا الكون الواسع بنظام دقيق ينظّم حركته، ويقوم على مقوّمات وسمات هي الدّقة التّناسق، والتّوازن، والتّناسب، وهي كلّها مقوّمات الجمال ومقاييسه وسماته[3]؛ فهذا الكون الّذي يشتمل على بلايين البلايين من النّجوم، كلّها متحرّكة لا تفتر عن الحركة لحظة واحدة منذ الأزل السّحيق، هذا الكون لا يصطدم فيه نجم واحد بنجم، ولا يحدث الخطأ

[1] صحيح مسلم، 275.

[2] محمد قطب: "منهج الفنّ الإسلامي"، ص87.

[3] جميل علي رسول السورجي: "مفهوم الجمال في الفكر الإسلامي"، ص24.

في مدار واحد، وتلك دقّة معجزة لا يقدر عليها غير مبدع الكون الواحد المفرد الّذي ليس له شريك[1].

والتّوازن الّذي يمسك السّماء أن تقع على الأرض ـــ إلاّ بإذنه ـــ هذه الأجرام المذهلة الجرم والوزن، الّتي يعجز العقل عن تصوّر وزن أبسطها وأصغرها، معلّقة في الفضاء بغير عمد، موزونة الحركة، تدور في مدارها المرسوم، لا تهتز عنه ولا تخرج عن نظامه[2]. لقول الله تعالى: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعْ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُور﴾.[3]

والتّناسق الّذي يبدو في توزيع الألوان والظّلال، والأضواء، والكائنات، في رقعة بسيطة. بصورة تلفت الحسّ وتستريح لها العين وتهشّ لها النّفس وتهدأ لها الأعصاب[4]. قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ، وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُور﴾.[5]

وقال عزّمن قائل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾.[6]

ب) **جمال النّبات والحدائق**: كلّ مخلوقات الله تعالى من النّبات والحدائق والأشجار والجبال، مصادر للجمال والبهجة في الكون، وقد خلق الله تعالى الحدائق والنّباتات والأشجار بالإضافة إلى ما فيها

[1] محمد قطب، منهج الفنّ الإسلامي، ص87.
[2] المرجع السّابق، ص88.
[3] سورة الملك: {الآية: 3}.
[4] محمد قطب، منهج الفنّ الإسلامي، ص93.
[5] سورة فاطر: {الآيات: 27-28}.
[6] سورة الفرقان: {الآية: 45}.

من المنافع الماديّة فإنّ فيها من جانب البهجة والسّعادة والجمال وما يضفيه على النّفس والرّوح من استقرار وهدوء وتوافق نفسي[1].

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَّاءِ مَّاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ حبًّا مُتَرَاكِبًا ومِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قُنْوَان دَانِيَة وجَنَّاتٍ منْ أعْنَابٍ والزَّيْتُون والرُّمَّان مُشْتَبِهًا وغَيْرَ مُتَشَابِهٍ اُنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُون﴾[2].

المُلاحظ في هذه الآية الكريمة أنّ الله سبحانه وتعالى قال "اُنْظُرُوا" ولم يقل "كلوا"، إذا المقصود من هذا الفعل هو التّأمّل في جمال هذه النّباتات والاستمتاع بها.

قال الله تعالى: ﴿تَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا المَاء اهْتَزَّت وربَتْ وأَنْبَتَتْ من كُلِّ زَوْجٍ بَهِيج﴾.[3] فهذه الآية تبرز لنا وتوضّح كيف أنّ الطّبيعة تنبض بالحياة، حيث يتزل الغيث من السّماء على أرض ميّتة فيحييها وتهتزّ وتربو وتنبت، وأيّ نبات هو نبات بهيج، والبهيج هو الجميل، الّذي يتمتّع بمنظر يبهج ويفرح النّفس.

ج) **جمال الحيوانات**: تظهر قدرة الله في خلقه لهذا الكون الفسيح الّذي ملأه بكائنات حيّة من نبات وإنسان وحيوان، وكلّ منها خلقها في أصناف مختلفة؛ فالحيوانات خلقها منها ما هو برّي، ومنها ما هو بحري، ومنها جوّي، وكلّ صنف له عالم خاص به ومميّزات خاصّة، وفوائد خاصّة.

---

[1] رفاعي أنصار محمد عوض الله: "الأصول الجماليّة والفلسفة للفنّ الإسلامي"، مكتبة الإسكندريّة، مصر، أطروحة دكتوراه مقدّمة إلى كليّة التّربية الفنيّة، جامعة حلوان، 2002، ص329.

[2] سورة الأنعام: {الآية: 99}.

[3] سورة الحج: {الآية: 5}.

قال الله تعالى: ﴿والأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ ومَنَافِعُ ومِنْهَا تَأْكُلُونَ ولَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تريحون وحين تَسْرَحُونَ وتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إلى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيه إلاَّ بِشَقِّ الأَنْفُسِ إنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُفٌ رَحِيم والخَيْلُ والبِغَالُ والحَمِيرُ لِتَرْكَبُوهَا وزِينَةَ ويَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُون﴾.[1]

نلاحظ من خلال هذه الآية أنّ الله سبحانه وتعالى تحدّث عن فوائد الأنعام وجمالها، يعني أنّ الإنسان يستفيد بهذه الأنعام ويتجمّل بها كذلك. كما يقول "الزّمخشري": "منّ الله بالتّجمّل بها كما منّ بالانتفاع بها، لأنّه من أغراض أصحاب المواشي، بل هو من معاظمها، لأنّ الرّعيان إذا روّحوها بالعشيّ وسرحوها بالغداة فزيّنت بإراحتها وتسريحها الأفنية وتجاوب فيها الثّغاء والرّغاء أنست أهلها وفرّحت أربابها وأجلتهم في عيون النّاظرين إليها"[2].

د) **جمال الإنسان:** الإنسان جميل، بل هو أجمل مخلوق في الأرض، وتلك حقيقة قرآنية ووجوديّة، ذلك أنَ مصادر الدّين في الإسلام تحدّثنا أنّ الله قد خلق الإنسان في أجمل صورة وأحسنها، وهي غاية في الجمال لقوله تعالى: ﴿الله الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الأَرْضَ قَرَارًا والسَّمَاء بِنَاء وصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾.[3]

وقال عزّمن قائل: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيم الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَك﴾[4].

[1] سورة النّحل: {الآيات: 5-8}.

[2] الزّمخشري: "الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل"، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، ج2، ص555.

[3] سورة غافر: {الآية: 64}.

[4] سورة الانفطار: {الآيات: 6-8}.

فهذه الآية تبيّن أنّ الله تعالى قد خلق الإنسان في صورة جميلة سويّة معتدلة كاملة، ليس هذا فقط، بل الإسلام يدعو إلى التّجمّل والاعتناء بمظاهرنا. عن أبي هريرة أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: "مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرٌ؛ فَلْيُكْرِمْهُ"[1]؛ فالحديث يحثّ على العناية بالشّعر وإكرامه، لأنّه يمثّل جمال الإنسان.

ثمّ إنّ القرآن الكريم يبيّن بصراحة مفهوم الجمال الجسدي الظّاهري للعيان الّذي يعتبره النّاس جمالا وحسنا في قصّة يوسف ــ عليه السّلام ــ حينما يذكر ذلك على ألسنة النّساء المصريّات اللاّتي لمّا أكبرنه حين خرج عليهنّ أعظم شأنه، وأجللن قدره، وجعلن يقطعن أيديهنَ عجبا لرؤيته.[2] قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾.[3]

والإسلام أعطى اعتبارا لجمال الجسم والهيئة والمنظر، وخير دليل هو قول الله تعالى في طالوت: ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وزَادَهُ بسْطة فِي العِلْمِ والجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤتَى مُلْكَهُ مَنْ يَشَاء واللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.[4]

وعن أبي هريرة أيضا أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: "تُنْكَحُ المَرْأَةَ لِأَرْبعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، ولِجَمَالِهَا، ولِدِينِها، فَاظْفِرْ بِذَاتِ الدِّين تَربت يداك"[5]. الجمال المطلوب في الحديث هو أن تكون المرأة جميلة، حسنة الوجه، لتحصل بها للزّوج العفّة، ويتمّ الإحصان، وتسعد النّفس.

---

[1] السّجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث [ت275هـ]، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محي الدّين عبد الحميد، دمشق، دار الفكر، د.ط، د.ت، كتاب "التّرجّل"، باب "في إصلاح الشّعر"، حديث رقم4163، ج4، ص76.

[2] مفهوم الجمال في الفكر الإسلامي، ص29.

[3] سورة يوسف: {الآية: 31}.

[4] سورة البقرة: {الآية: 247}.

[5] البخاري، الإمام محمد بن اسماعيل [ت256هـ]، صحيح البخاري [الجامع الصّحيح المختصر]، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، اليمامة، كتاب "النّكاح"، باب "الأكفاء في الدّين"، حديث رقم 4802، ج4، ص1985.

إذًا؛ فالإسلام لا ينْهي أن يحبّ الإنسان وجها جميلا أو جسما جميلا، ويقدّر ما فيه من الجمال وينجذب إليه، ولكنّه لا يبيح ذلك بشكل فوضوي؛ فالنّظام يقتضي أن يكون الطّريق إلى الاستمتاع بهذا الجمال هو الطّريق المشروع وحده.[1]

2. الجمال المعنوي:

لم يحصر الإسلام الجمال في كلّ ما يُدرَك بالبصر بل تجاوز ذلك إلى ما يُدرك بالبصيرة، ونقصد به جمال الخلق والأخلاق الباطنة من صبر، وعدل، وأمانة، وصدق، وخير...؛ فالإسلام يحثّ على التّحلّي بالخصال الحسنة والسّيرة الجميلة، والسّلوك الطّيّب في التّعامل مع الآخرين، ومن الآيات الّتي تدلّ على ذلك، قول الله تعالى: ﴿واصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ واهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً﴾.[2] والكلام هو موجّه للرّسول صلّى الله عليه وسلّم وأتباعه؛ فالجميل هنا هو الّذي لا عتاب معه لا غضب.

وقال عزّ من قائل: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً﴾.[3] فالصّبر الجميل المقصود به هو ذلك الصّبر الّذي بلا شكوى وفي موقف النّبيّ الهادي الأمين من أهل مكّة حين فتحها، سنة ثمان من الهجرة، ووقف من حوله من أهل مكّة، ووقفت قريش كلّها تنتظر ماذا سيكون الأمر، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلَقَاء"[4]. ومن خلال هذا الحديث يتبيّن لنا أنّ رسولنا الكريم كان يلتزم بالصّفح، وهذا يدلّ على خلقه الكريم، وقلبه الطّيّب النّقي، وقوّة إيمانه، ونفسه الجميلة.

وجاء في تشريع ربّاني موجّه إلى المجتمع المؤمن ليقرّر حقّ الطّلقة، الّتي لم يدخل بها وجوب تسريحها تسريحا جميلا أي تطليقها يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمْ الْمُؤْمِنَات ثُمَّ

---

[1] ينظر: محمد قطب، منهج الفن الإسلامي، ص95.

[2] سورة المزمل: {الآية: 10}.

[3] سورة المعارج: {الآية: 5}.

[4] البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين: "سنن البيهقي الكبرى، مكّة المكرّمة"، مكتبة دار الباز، د.ط ،1414هـ ـ1994م، "أبواب السّير"، باب "فتح مكة حرسها الله"، حديث رقم 18055، ج9، ص118.

طَلَّقْتُمُوهُم مِنْ قَبْل أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وسَرِّحُوهُنَّ سرَاحًا جَمِيلاً﴾.[1] فالصّفح والتّسامح والطّلاق يتمّ في إطار الجمال.[2]

يقول الرّسول صلّى الله عليه وسلّم: "أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُم خُلُقًا"[3]. وسُئل عنه صلّى الله عليه وسلّم عن أكثر ما يدخل الجنّة فقال عليه الصّلاة والسّلام: "تَقْوَى الله وحُسْنُ الخُلُق".[4] وقال عليه الصّلاة والسّلام: "اللَهم حَسَّنْتَ خُلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي"[5].

ويؤكّد "الغزالي" أنّ الجمال الخالد هو الجمال المعنوي، لأنّه لا يتغيّر عبر السّنين، أمّا جمال الشّكل فزائل بزوال أعضائه بالفناء أو بالتّغيّر الزّمني.[6]

---

[1] سورة الأحزاب: {الآية: 49}.

[2] الأصول الجمالية والفلسفيّة للفن الإسلامي، ص327.

[3] التّميمي، محمد بن حبان بن أحمد:" صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان"، تحقيق: شعيب الأرنواط، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط 2، 1414هـ ـ 1993م، باب "حسن الخلق"، حديث رقم 479، ج2، ص227.

[4] المرجع نفسه، حديث رقم 476، ص224.

[5] المرجع نفسه ، باب "الأدعية"، حديث رقم 959، ج3، ص239.

[6] مفهوم الجمال في الفكر الإسلامي، ص48.

إذا، يجب على الإنسان التّخلّق بأخلاق الله تعالى؛ فإذا كان الجميل من أسماء الله تعالى فعلى الإنسان أن يتّصف بالجمال في الفعل وفي الخلق، وتنمية تذوّقه وإحساسه بالحمال الّذي أودعه الله تعالى في هذا الكون.

وفي الأخير أخلص إلى أنّ الجمال الحسّي في نظر الإسلام لا بدّ أن يكون مرتبطا بالجمال المعنوي؛ فهذا الأخير يبعث في الجمال الجامد حياة، وهذا ما نلحظه في الصّور الفنيّة في الأدب الّتي تعبّر عن الحسّي بالمعنوي فتجعل الأدب جميلا.

المبحث الثالث: تجلّيات الجمال في الأدب الإسلامي :

الأدب الإسلامي يربّي الرّوح، ويثير في الإنسان الحياة، ويتح بصيرته على آيات الله في الكون، ويشعره بقدرة الله الخلاّقة المبدعة. كلّ ذلك بأسلوب أخّاذ يأخذ بمجامع النّفس البشريّة ويوقظها من غفوتها؛ فتتفتّح كما تتفتّح الأزهار في فصل الرّبيع[1].

فهو التّعبير الجميل الّذي يوقظ في نفس الإنسان الحسّ المرهف، ويشعره بآيات الله في الكون، وبالجمال في النّفس البشريّة، والشّعور الجمالي في الأدب الإسلامي لم ينشأ من فراغ، وإنّما نشأ من تأثّر هذا الأدب ببيان القرآن الكريم، والسّنة النّبويّة الشّريفة، لذا يستطيع قارئه أن يلمس بسهولة الجمال الفنّي في الآثار الفنيّة والأدبيّة ويحسّ به إحساسا واضحا ويتذوّقه ويتأثّر به من خلال النّظام الجمالي الّذي يسود كلّ جنس من أجناس الأدب الإسلامي[2].

يذهب "محمد إقبال" إلى أنّ الأدب الإسلامي يحرص على الجمالية الفنيّة وينمّيها عبر الرّوافد الثّلاثة التّالية:

1. الرّافد الطّبيعي:

كما ذكرنا سابقا أنّ الطّبيعة تعكس جمال الله تعالى؛ فهي أعلى درجات الجمال، وعلى هذا الأساس أمرنا الله جلّ جلاله أن نتأمّلها ونتمثّلها في أعمالنا، انطلاقا من الإيمان والإبداع وصولا إلى أيسر الممارسات وإلاّ ستفقد وظيفتها وسبب خلقها[3]؛ فجمال الطّبيعة يكمن في توازنها وتناسبها ودقّة تراكيبها المدهشة، وكلّ هذا ينعكس على الإنتاج الأدبي والفنّي للإنسان، الّذي يكون هو الآخر مضبوطا بأساليب وتراكيب فنيّة منسجمة ومتناسقة. والأدب الإسلامي هو الّذي يعبّر عن كلّ قضيّة أو موضوع ولكن وفق منظور إسلامي، والتّأمّل في الطّبيعة يجعل الأديب المسلم أكثر إيمانا، حيث يجد نفسه

---

[1] لخضر العرابي: "الأدب الإسلامي ماهيته ومجالاته"، ص47.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص72.

[3] ينظر: محمد إقبال عروي، جمالية الأدب الإسلامي، الطبعة السلفية، الدار البيضاء، ط1، 1986، ص53.

في فسح عظيم لا يعرف هل يستنبط منه جماله أم ينظم أشعارا فيه؛ فتكون موضوعاته الطّبيعة، ولكن لن يستطيع فصل هذا عن ذاك لأنّ حقيقة الطّبيعة هو جمالها، وبالتّالي يتبيّن أنّ الرّافد الطّبيعي يشكّل مُوَجِّهًا سابقا ومبكّرا لرصد جمالية الأدب الإسلامي.

2. الرّافد القرآني:

يوجب "عروي" التّفريق بين أسلوب الأداء القرآني وفنيّة ذلك الأداء؛ فالأديب لا يُراد منه أن يقلّد القرآن في أسلوب أدائه، وإنّما عليه الإفادة من فنيّته فقط؛ فالآيات القرآنية لا ينجذب مستمعوها لمضامينها ومحتوياتها فحسب، وإنّما لفنيّة أسلوبها وجمالية أدائها، وتناغم أصواتها وانسجام حروفها وفنيّة صورها، وكثافة إيقاعها مع استجابته لمحتوى الآية، لتضمن كلّ هذه الخصائص على النّص القرآني بُعدًا جماليّا.

ومن الضّروري أن يلتفت الأديب إلى هذه القضيّة، ويعمل على تمثيلها بتلوين النّتاج الأدبي بجماليتها[1] فبيان وبديع القرآن الكريم هو سحر، يُبهر العقول ويُحيي القلوب، وسرّ هذا السّحر في كلماته الّتي نُسجت بطريقة متناسقة سواء من حيث لفظها أو معناها.

وفي هذا الصّدد يقول "د. عماد الدّين خليل": "إنّ التّعامل القرآني مع الجمال يأخذ اتّجاهين؛ فأمّا أوّلهما فيقوم على المضامين الجماليّة الّتي يطرحها كتاب الله، بدءًا من حديثه عن خلق الكون، والعالم، والطّبيعة والحياة، والخلائق، والإنسان...وأمّا الاتّجاه الثّاني؛ فبقوم على الأسلوب... وكيف صاغ من الكلمة تعابيره الفذّة وآياته البيّنات، وكيف فجّر أقصى ما تتضمّنه الكلمات من قدرات تعبيريّة، وكيف اعتمد الجملة المكتوبة لتقديم صوره الفنيّة"[2].

فحسب قول "عماد الدّين" يتبيّن أنّ جماليّة القرآن الكريم تظهر من جهتين: أوّلهما أنّه يتحدّث عن جمال الخلق، جمال الطّبيعة، والإنسان والكون، ومن جهة ثانية تظهر جماليته من خلال الطّريقة الّتي صيغت بها هذه الصّور الفنيّة الجميلة من تعابير وأساليب وكلمات وجمل، ولهذا يجب أن تتوفّر في النّص

[1] المرجع السّابق: ص54 ــ 56.

[2] مدخل إلى نظريّة الأدب الإسلامي، ص 28.

الأدبي جميع المقوّمات الفنيّة الموجودة في النّص القرآني، من استعارة ورمز ، وخيال، وصورة، ولغة، بالإضافة إلى التّمسّك بالقيم والمبادئ الدّينيّة الّتي ينصّ عليها مضمون الآيات القرآنيّة؛ فأخلاقيات القرآن الكريم هي في الأساس أخلاق جمالية، إذًا جمالية الأدب الإسلامي هي نابعة من جمالية القرآن الكريم.

3. الرّافد الانفتاحي:

إنّ خاصيّة الانفتاح تشكّل بكلّ ما تمتاز به من مواصفات، رافدا يساعد الجمالية الفنيّة على التّحقيق، وقد تكون تجارب الأديب المسلم أغنى من تجارب الآخرين، وذلك بفضل رؤيته الكونيّة الواضحة، تلك الرّؤية الّتي تدفع صاحبها إلى الانغماس في الحياة بكلّ أشكالها ولكن ذلك لن يحقّق لوحده النّتيجة المنشودة، بل لابدّ من تحقيق المستوى الفنّي والجمالي، وإنّ الإتقان الّذي يجعله الحديث واجبا ومسؤولية "إِنَّ اللهَ يُحِبُ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلاً أَنْ يُتْقِنَهُ"[1] يدعو الأديب إلى إغناء تجربته الجمالية بالانفتاح على المعطيات الإنسانية في عالم الإبداع[2]؛ فلتحقيق الجمالية الفنيّة في النّص الأدبي، يجب أن يكون الأديب المسلم منفتحا على عدّة معارف وعلى عدّة آداب وعلوم؛ فهذا سيساعد ه على تجسيد أفكاره وتمثيلها في أحسن صورة، وإنّ النّقد الإسلامي يؤكّد بهذا الرّافد على عالمية الفنّ وشمول الجمالية؛ فمن الواجب الإفادة من التّجارب والأشكال في صياغة تجاربه الإبداعية و رؤاه. وسيعاني الأدب الإسلامي ـــ دون انفتاحه ـــ من طغيان التّكرار والسّطحية الّتي تجد طريقها في الانعزال وعدم التّحاور والتّفاعل[3].

ومن مؤيّدي مسألة الانفتاح "عماد الدّين خليل" الّذي يرى أنّ "الأخذ عن الغير ليس خطأ بحدّ ذاته على الإطلاق، بل العكس هم الصّحيح، إذ الحكمة ضالّة المؤمن أنّى وجدها فهو أحقّ بها، كما يحدّثن رسولنا عليه الصّلاة والسّلام"[4]. ويؤكّد كذلك أنّ "الأخذ عن الغرب الحديث جائز بل هو

---

[1] مسند أحمد علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي:7، ص349.

[2] جمالية الأدب الإسلامي، ص 56ـــ 57.

[3] اسماعيل ابراهيم المشهداني، علم الأدب الإسلامي، ص 65.

[4] عماد الدّين خليل: " مدخل إلى نظريّة الأدب الإسلامي"، ص82.

ضرورة فنيّة وحضاريّة، ولكن الانصهار فيه والتّلاشي في رؤيته الفنيّة للكون والحياة والإنسان أمر مرفوض".[1]

ما يُلاحظ على قول "د. عماد الدّين" أنّه من الضّروري أن ينفتح الأديب المسلم على الغرب، ولكن دائما يبقى محافظا ومتمسّكا بالتّصوّر الإسلامي.

أمّا في نظر "إقبال" "فالإسلام لم يحدّد رأيا في المسألة و لم يشترط شروطا فنيّة خاصّة، وهو بموقفه هذا يدلّ على إدراك عميق بطبيعة الشّكل وتطوّره عبر العصور، كما يكشف عن إيمانه بأنّ كلّ تحوّل في الحياة الاجتماعية قد يؤدّي إلى تحوّل في الذّوق الجمالي"[2]؛ فالدّين الإسلامي لم يدع إلى تجاهل الآخر أو الابتعاد عنه، أو الانغلاق في وجه معطياته الثّقافيّة والحضارية، بل العكس هو دائما يحثّ على التّعارف لقول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾.[3] والانفتاح على الآخر، على المذاهب الأدبيّة والمدارس الفكريّة والأشكال الفنيّة، مادامت لا تتعارض مع وجهة نظره الدّينيّة وقيمه العليا.

وهذا هو الجميل في الأدب الإسلامي أنّه يستقبل كلّ المعارف، كلّ الأفكار كلّ الفنون، ويضعها في قالبه الخاصّ هو قالب ديني إسلامي.

بعد حديثنا عن الرّوافد الّتي تنمّي الجماليّة الفنيّة لدى الأدب الإسلامي، سنحاول أن نبيّن كيف تجسّدت هذه الرّوافد من خلال شكل ومضمون الأدب الإسلامي.

الجمال بين الشّكل والمضمون:

ظلّ موضوع الشّكل والمضمون إشكاليّا في النّقدين العربي والغربي، وتضاربت الآراء بين من فضّل المعنى غلى اللّفظ، ومن فضّل اللّفظ على المعنى، وطرف وازن بينهما أي بين اللّفظ والمعنى. واهتمّ منظّروا الأدب الإسلامي بإشكالية الشّكل والمضمون؛ فنجد "نجيب الكيلاني" يقول "لقد حاول الدّارسون أن يجعلوا من الأدب مضمونا وشكلا، وعلى الرّغم من صعوبة الفصل بين الشّكل والمضمون، إلاّ أنّ هذا

[1] المرجع السابق، ص83.

[2] جمالية الأدب الإسلامي، ص75.

[3] سورة الحجرات: {الآية: 13}.

التّبسيط أو التّصوير يبدو ضروريّا في بعض الأحيان توارثناه عن الفلسفات القديمة" ويرى أنّ الإشكاليّة الّتي تكتنف الأدب الإسلامي هي شكليّة لا مضمونيّة فهو يقول: "التّنظير للأدب الإسلامي لا يثير كثير الجدل في ناحية المضمون لكن الأشكال الفنيّة الّتي لا تكاد تستقر على حال، والّتي تختلف فيها الأذواق و الأفهام و المناهج الفلسفية هي المشكلة بل أكاد أقول هي العقبة الّتي تعترض طريق الباحثين عن نظريّة سويّة للأدب الإسلامي"[1].

ويحدّد موقفه من هذه الإشكاليّة قائلا: "إنّ الشّكل الفنّي ميراث وتراث، وأنّه بطبيعته متغيّر ومتنوّع، وأنّ مجال العمل فيه يلتصق بإبداع المبدعين أكثر من التصاقه بآراء المؤرّخين والنّقّاد مجرّد وسيط ذي وجهة نظر... ولاشكّ أنّ حرص الإسلاميّين على المضمون الفكري واطمئنانهم له سوف يجعلهم أكثر ثقة في ارتياد التّجارب الإبداعيّة". ويلخّص موقفه حول العلاقة بين الشّكل والمضمون، وأهميّة كلّ منهما في الأدب الإسلامي المعاصر فيقول: "إنّ الأدب يحرص على مضمونه الفكري النّابع من قيم الإسلام العريقة... ويعول كثيرا على الأثر أو الانطباع الّذي يترسّب لدى المتلقّي ويتفاعل معه"[2].

طرح "نجيب" عدّة نقاط أهمّها: أنّ الدب الإسلامي مضمونه واضح؛ فهو لن يخرج عن نطاق التّصوّر الإسلامي، لهذا يرى أنّ مشكلة الأدب الإسلامي تكمن في الشّكل وهذا راجع إلى عدم استقرار الأشكال الفنيّة الّتي تتغيّر وتتجدّد، وهذا يؤدّي إلى تغيّر وتجدّد وتباين الأذواق، ولكن ما أكّده أنّ هذا التّجدّد يظهر في إبداع المبدع، والمبدع المسلم مهما غيّر وجدّد في صوره الفنيّة سيبقى محافظا على مضمونه الدّيني الإسلامي.

أمّا "عماد الدّين خليل" فيقول: "إنّ الأدب بنية متعاشقة بين الشّكل والمضمون، وفكّ الارتباط بينهما سيقتل هذا أو ذاك"[3].

---

[1] مدخل إلى الأدب الإسلامي، ص28.

[2] المرجع نفسه، ص 20 ــ 21 ــ 34.

[3] مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي، ص90.

ويؤكّد كذلك أنّ نظرة الإسلام ــ الوسطية في كلّ شيء ــ الّتي ترى أنّ الفنّ الإسلامي إطار كوني ملتزم وإنساني إيماني، وتوحيدي وأخلاقي إيجابي، وكما يعبّر الإسلام عن مرونته الفنيّة في المحتوى، فإنّه يمتلك ذات المرونة في الشّكل، فهو مفتوح للتّعبير عن التّجربة الفنيّة بأيّة وسيلة كانت: الكلمة، الصّوت، الحركة، التّشكيل[1]، فهو يدعو إلى الوحدة الفنيّة الّتي توازن بين الشّكل والمضمون، وإذا كان الأدب الإسلامي يستطيع أن يعالج عدّة مواضيع؛ فهو كذلك يستطيع أن يعبّر عنها بعدّة أشكال.

ويرى "د. محمد إقبال عروي" أنّ أخطر سلبيّة يعاني منها الدّارس الجمالي للأدب الإسلامي المعاصر كثافة المضمون وضعف الفنّ، إذا ازدهر الأدب الإسلامي المعاصر على مستوى الرّؤى والمحتويات، لكن الجانب الفنّي ظلّ يعاني من التّواضع غير المرغوب فيه، وإن كان "ذلك لا يقف مبرّرا للقول بأنّ الإسلام يريد من أصحابه أو يدعوهم إلى الاهتمام بالمعنى أكثر من الفنّ، وأنّ الأساس الّذي ينطلق منه هو نبل المضامين وإيجابيتها، دون النّظر جهة الجمال الفنيّة ... فالأدب الإسلامي لا يلغي الجمالية الفنيّة بل يحرص عليها و ينمّيها"[2].

أشار "محمد إقبال" إلى أنّ الأدب الإسلامي المعاصر قد عرف ازدهارا في المحتوى، أمّا الجانب الفنّي فلا يزال يعاني من الجمود، ربّما تكون هذه حقيقة الأدب الإسلامي المعاصر، ولكن أكّد ووضّح وبيّن أنّه ليس الإسلام من دعا إلى ذلك، ولو كان كذلك لما نزل القرآن الكريم بجماله المضموني والفنّي بل الأدب الإسلامي حريص أشدّ الحرص على تحقيق الجماليّة الفنيّة.

إذًا، ما نستنتجه أنّ جمالية الأدب الإسلامي تكمن في مضمونه وشكله، يتجلّى جمال مضمونه في ازدواجيته بين القضية المعالجة ــ سواء موضوع اجتماعي، أو سياسي، أو اقتصادي، أو إنساني ــ وبين الزّاوية الّتي انطلقت منها هذه القضيّة؛ فهي زاوية إسلاميّة، وهذا هو الجميل في الأدب الإسلامي أنّه لا يعالج فقط قضايا العقيدة، أو شخصية إسلاميّة، أو تاريخ إسلامي. أمّا شكل الأدب الإسلامي جماليته تكمن في أنّه يحاكي شكل القرآن الكريم، يعني أنّه اعتمد على جميع الصّور الفنيّة والأساليب التّعبيريّة

[1] ينظر: مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي، ص112.
[2] جمالية الأدب الإسلامي، ص52، 53.

الموجودة في القرآن الكريم واستفاد منها وجعلها حلّة تزيّن أدبه، وتكسبه رونقا وجمال، وتبعث في ذهن المتلقّي انفعالا بحسّ مرهف متذوّق، سواء كان الأدب شعرا أم نثرا.

الفصل الثاني

جمالية الأدب الإسلامي عند أحمد سحنون.

المبحث الأوّل: ترجمة الشّيخ أحمد سحنون:

1) الاسم، المولد، والنّشأة:

هو أحمد سحنون بن سحنون ولد سنة 1326هـ ـــ 1907م، بقرية "ليشانة" قرب بسكرة[1]، توفّيت أمّه وهو رضيع، وقد بقي أثر هذا اليتم المبكّر، وهذا الحنان الّذي فقده في صباه عالقا في ذهنه إلى أواخر حياته، يتذكّره ويحزن ويأسف ويؤثّر فيه وفي شعره، وتولّت عدّة نساء إرضاعه، تقول الأستاذة "عائشة سحنون" وهي ابنة "أحمد سحنون": " ذات مرّة قال لي أبي: لو أبحث سأجد أنّ جلّ أبناء ليشانة إخوة لي من الرّضاعة" وتولّى والده الّذي كان معلّما للقرآن الكريم تربيته[2].

2) تعلّمه وشيوخه:

حفظ "أحمد سحنون" القرآن الكريم على يد أبيه "الشّيخ سحنون" وهو في الثّانية عشر من عمره، كما تعلّم مبادئ اللّغة العربيّة والشّريعة الإسلاميّة على يد مجموعة من المشايخ والعلماء؛ فأتقن النّحو والصّرف، وعلم العروض والقوافي والفقه والحديث... وغيرها من العلوم[3]. ومن أشهر أساتذته ومشايخه:

محمد خير الدّين وهو من مؤسّسي جمعية العلماء المسلمين، **وعبد الله بن مبروك العثماني** وهو أعظم أساتذته ومدرّسيه، **ومحمد الدّراجي**.

عُرف عن الشّيخ "أحمد سحنون" رحمة الله عليه أنّه كان مولعا بكتب الأدب؛ فدرس وطالع منها الكثير قديمها وحديثها، وهكذا تولّى تعليم نفسه بنفسه؛ فهو يعدّ من العصاميّين. وقد كان له ولع خاصّ باقتناء الكتب ومطالعتها، ومكتبته العامرة الّتي تركها في مسجد "أسامة بن زيد" خير دليل على ذلك[4].

---

[1] محمد بن رمضان شاوش زالغوثي بن حمدان:" إرشاد الحائر إلى أدباء الجزائر"، دار البصائر للنّشر والتّوزيع، المجلّد 2، ج3ـــ4، الجزائر، ص570.

[2] نور الدّين مسعودان: "أعلام الجزائر"، دار النّون للطّباعة والنّشر والتّوزيع، 2010، ص198.

[3] المرجع نفسه، ص198.

[4] فتحي بودفلة: "العروبة في شعر أحمد سحنون"، ص9.

3) انضمامه وعمله في الحركة الإصلاحيّة:

إنّ تعلّم الشّيخ "أحمد سحنون" على يد مشايخه جعلت علاقته برجال الإصلاح تتوطّد واعتناقه لفكرهم ينمو ويزداد شيئا فشيئا، وفي سنة 1936 التقى لأوّل مرّة مع رائد الإصلاح والنّهضة في الجزائر العلاّمة "عبد الحميد بن باديس" رحمه الله، وفي ذلك يقول: "وذكرت ـــ عندما كتبت فصلا عن ابن باديس الموجه ـــ بمناسبة ذكراه أنّه جمعني به أوّل مجلس فبادرني بسؤاله: ماذا طالعت من الكتب؟ فأخذت أسرد له ـــ لسوء حظّي أو لحسنه ـــ قائمة حافلة بمختلف القصص والرّوايات؛ فنظر إليّ نظرة عاتبة غاضبة وقال: هلاّ طالعت العقد الفريد لابن عبد ربّه، هلاّ طالعت الكامل للمبرّد بشرح المرصفي، واستمرّ في سرد قائمة من الكتب النّافعة المكوّنة، فكانت تلك الكلمة القيّمة خير توجيه لي في هذا الباب"[1]، وهكذا كان هذا اللقاء نقطة تحوّل كبرى في حياة الشّيخ "أحمد سحنون" حيث انضمّ إلى جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين وأصبح من أعضائها الفاعلين.

يقول في هذا المجال في مقدّمة كتابه "توجيهات إسلاميّة": "إنّ كلّ شيء كنّا نعماه لهذا الشّعب، وكلّ ما نبذله لهذا الوطن، إنّما كان بوحي من روح الجمعية، ووفق الخطّة الّتي رسمتها لتطهير هذه الأرض العربيّة المسلمة من وجود الاستعمار ومن سيطرة الأجنبي، ومن عار الحكم بغير ما أنزل الله"[2].

وفي سنة 1947 اشترك في المجلس الإداري للجمعيّة، وقام بكتابة نشيدها الّذي يقول في مطلعه:

يا بني شعب الأباة... للمعالي.

أنتم نسل الأمازيغ الكماة ... في النّزال.

كلّ من ضحّى بنفسه فمات... لا يبالي.

---

[1] أعلام الجزائر، ص199ـــ 200.

[2] المرجع نفسه، ص201.

كما عينته الجمعية في نفس السّنة معلّما في مدرسة التّهذيب الحرّة في "بولوغين" ثمّ أصبح مديرا لها بعد عام واحد[1].

وشارك في هيئة تحرير صحيفة "البصائر" واشتهر فيها بشعره ومقالاته التّربويّة والتّوجيهيّة، ومن أعماله الشّهيرة في صحيفة "البصائر" غير التّوجيهيّة والشّعريّة عمله النّقدي، ولعلّ أشهره نقده لمسرحية "خالد" أوّل مسرحيّات المسرحي الجزائري "محي الدّين باشطارزي" في العدد 17 ــ في 29 ديسمبر 1947.

4) الشّيخ سحنون والثّورة التّحريريّة:

أدرك الشّيخ رحمه الله منذ اللّحظة الأولى حقيقة المستعمر، فكان دائم التّحذير من مكائده والتّنبيه إلى أساليبه وساهم مع إخوانه العلماء في نشر الوعي الدّيني والوطني في أوساط الشّعب، وبعث الثّقة في نفسه، ليرفع لواء الحريّة والاستقلال ويطهّر وطنه من رجس المستعمرين.

وكان رحمه الله قد كوّن تنظيما فدائيّا سرّيّا انطلاقا من مسجد الأمّة عام 1953م، وبعد اندلاع الثّورة لم يتردّد في مساندتها ممّا أدّى إلى سجنه عام 1956م، وحاول المستعمر استغلال مكانة الشّيخ عند الشّعب الجزائري وتأثيره فيه فطلب منه أن يحذّر النّاس من المجاهدين ويبعدهم عن احتضان الثّورة ودعمها؛ فردّ عليه قائلا: " أنا الآن في حكم الميّت، إذا نفّذت ما طلبتم منّي يقتلني إخواني وإذا لم أنفّذ تقتلونني أنتم، ومادامت ميّتا فليكن موتي على أيديكم أفضل" فحُكم عليه بالإعدام ثمّ اطلق سراحه بعد ثلاث سنوات لأسباب صحيّة؛ فقام المجاهدون بتهريبه إلى منطقة باتنة بالشّرق الجزائري ثمّ إلى مدينة سطيف ليواصل عمله وجهاده بين أفراد شعبه.

أمّا نشاطه في تلك السّنوات الثّلاث الّتي قضاها في السّجن، كانت كنشاط أي مثقف ومصلح؛ فقد واظب على المطالعة والتّعليم والكتابة، وكان متابعا لكلّ ما يصدره الأستاذ "سيّد قطب" رحمه الله من تفسيره في ظلال القرآن وكان يقول: "كان الظّلال يخرج من السّجن في مصر ويدخل السّجن في الجزائر".[2]

---

[1] المرجع السّابق، ص201.

[2] أعلام الجزائر، ص202.

5) الشّيخ أحمد سحنون في مرحلة الاستقلال:

بعد نيل الجزائر استقلالها وتخلّصها من قبضة المستعمر الغاشم تفرّق رجال الإصلاح وأعضاء جمعيّة العلماء المسلمين بين من اتّجه إلى التّربية والتّعليم، وبين من اختار الخطابة والإمامة، وبين من توجّه إلى السّلك الإداري في الوزارات ومختلف المنشآت والمؤسّسات، أمّا شاعرنا الشّيخ "أحمد سحنون"؛ فقد جمع بين الإمامة والإدارة؛ فكان إماما خطيبا بالجامع الكبير بالعاصمة وعضوا بالمجلس الإسلامي الأعلى، فواصل عمله الدّعوي التّربوي بكلّ إخلاص واستقلالية، فكان أحرص ما يحرص عليه حريّة الكلمة وخاصّة إذا كانت تخرج من المنبر؛ فلم يكن يهادن في دينه ولا يقبل المساومة في مبادئه من غير جبن ولا تهوّرا وانفعال، شعاره في ذلك قول الله تعالى: " ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ والمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنَ" حتّى استطاع بمنهجه أن يصبح منبرا للتّعقّل والحكمة ومرجعا لوحدة الشّعب الجزائري.

وقد كان يقول رحمه الله: "فليست الدّعوة إلى الله ـــ إذن ـــ كلاما مجرّدا عاديا، يستطيع أن يملأ به شدقيه كلّ من لاحظ له من دين أو خلق، ولا خلاق له من إيمان أو استقامة، إنّما هي كفاح مرير ينبغي ألا يخوض غماره إلاّ من تسلّح له بسعة الصّدر ولين القول واستقامة السّيرة وبلاغة المنطق وقوّة الحجّة"[1].

وكتب ذات مرّة مقالا بعنوان "الدّعوة إلى الله" وممّا جاء فيه: "وإذا كانت الكلمة اللّيّنة والصّدر الرّحب من خير أدوات الدّعوات بحيث تجعل العدو صديقا كما تشير إليه الآية؛ فبعكس ذلك تكون الكلمة الجافية والصّدر الضّيّق من شرّ أسباب النّفور بحيث يجعلان الصّديق عدوّا".[2]

هكذا إذا كان منهجه في الدّعوة إلى الله كما كان منهج الأنبياء بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالّتي هي أحسن ولكن إذا انتهكت حرمات الله أو حورب الله ورسوله وهدّد الإسلام في عقر داره؛ فإنّه يرفع لواء التّصدي والذود عن دين الله كما فعل رحمه الله لّما حاولت شرذمة من النّسوة بدافع من اللّائكين وبقايا أذناب المستعمر في الجزائر أن تستبدل قانون الأسرة المستمد من الشّريعة الإسلاميّة بآخر علماني لا ديني؛

[1] المرجع نفسه، ص203.

[2] المرجع السّابق، ص203.

فخرج مع غيره من الدّعاة في مسيرة حاشدة حضرها زهاء مليون امرأة مسلمة جزائريّة أصيلة ليقول لا لمحاولات العبث بدين الأمّة وثوابتها.

ومن الجهود المباركة الّتي قام بها الشّيخ رحمه الله، محاولته تأسيس رابطة الدّعوة الإسلاميّة وهي إطار دعوي يجمع كافّة أطياف الحركة الإسلاميّة لتوجيه العمل الدّعوي وتوجيه العاملين بعد توحيدها وتنسيقها لاجتناب التّناحر والشّقاقات داخل صفوف الحركة الإسلامية، كان ذلك سنة 1989م، وقد كانت محاولة رائدة لو كتب لها الله النّجاح والاستمرار.[1]

أهمّ المحطات والأحداث التي عرفها الشيخ بعد الاستقلال تأييده لبيان الشّيخ البشير الابراهيمي في 16 أفريل 1964 والّذي دعا فيه السّلطات الجزائريّة إلى العودة إلى مبادئ الإسلام وإلى الحكمة والصّواب بعد أن رأى البلاد تنتهج مناهج ومذاهب غربية دخيلة على عقيدتنا وعرفنا... بل يرجّح أنّ الشّيخ أحمد سحنون قد اطّلع عليه قبل إصداره إن لم يكن شارك فيه برأيه وتشجيعه نظرا لمكانة شاعرنا المتينة والمرموقة عند الشيخ الإبراهيمي.

- ✓ توقيفه عن الخطابة في الجامع الكبير من طرف الرّئيس ابن بلّة بسبب مواقفه المناهضة للخيار الاشتراكي الّذي قيل عنه يوم ذاك (خيار لا رجعة فيه) ثمّ أعيد إلى منصبه بعد انقلاب 19 جوان 1965م.
- ✓ المشاركة في تأسيس (جمعية القيم) والتي ترأسها الهاشمي التيجاني في 19\12\1963[2] هذه الجمعية الّتي انتدبت للدّعوة إلى الله والعودة إلى مبادئ الإسلام وتطبيق الشّريعة.
- ✓ موقفه من إعدام عبد النّاصر لصاحب الظلال سيّد قطب؛ فقد نظم قصيدة يرثي فيه سيّد قطب ويشنّ فيها حربا هوجاء على حكّام المسلمين المعطّلين لشريعة الإسلام...

[1] المرجع نفسه، ص205.

[2] http//vb.tafsir.net/newreply.php? Do= newreply & noquote= one&p=141032.

- ✓ دوره في تغيير العطلة الأسبوعية من يوم الأحد إلى يوم الجمعة وذلك خلال لقاء جمعه بالرّئيس هواري بومدين برفقة أئمة المساجد ألحّ فيه الشّيخ على الرّئيس وطال منه تغيير يوم العطلة الأسبوعي فما كان منه إلاّ الاستجابة بإصدار مرسوم رئاسي غير به يوم العطلة.
- ✓ مشاركته الفعّالة مع تلامذته وأصدقاء دربه من أبناء وشيوخ الصّحوة الإسلاميّة في مناقشات دستور 1975م.
- ✓ مشاركته في تجمّع الجامعة المركزية سنة 1982م وصياغته رفقة عدد من العلماء والدّعاة بيان النّصيحة الّذي طالب السلطة الجزائرية بتطبيق الشريعة.
- ✓ فرض الإقامة الجبرية على الشيخ رفقة صديق دربه الشّيخ عبد اللّطيف سلطاني بسبب بيان النّصيحة.
- ✓ تبنّيه لمطالب شباب انتفاضة أكتوبر 1988م ولكنّه رفض بقوة تنظيم مسيرة يقودها رجال الصّحوة الإسلاميّة حقنا لدماء المسلمين وحتّى لا يترك الفرصة سانحة لمن يريد ضرب المسلمين وتوريطهم فيما لا قبل لهم به...
- ✓ تنظيمه للمسيرة النّسائية المليونية المطالبة بالإبقاء على قانون الأحوال الشّخصية المعروف بقانون الأسرة مستنبطا من الشريعة الإسلاميّة.
- ✓ تأسيس رابطة الدّعوة الإسلاميّة في أكتوبر 1989م من أجل ترشيد وتوجيه العمل السّياسي الإسلامي في وسائله وغاياته وحراسته من الخطأ والانحراف...
- ✓ موقفه الرّافض للعمل المسلّح في مواجهة النّظام سواء خلال عقد الثّمانينات في عهد بويا على أو عقد التّسعينات بعد إلغاء الانتخابات ومصادرة اختيار الشّعب للحلّ الإسلامي ...
- ✓ تعرّضه لمحاولة اغتيال سنة 1996م قبيل صلاة الفجر بساحة مسجد أسامة بن زيد، بعد هذه الحادثة لزم الشيخ مكتبته الزّاخرة وعكف على البحث والقراءة.[1]

[1] العروبة في شعر أحمد سحنون، ص17.

6) وفاة الشيخ أحمد سحنون:

أصيب الشيخ بجلطة في الدّماغ صبيحة يوم العيد، نقل على إثرها إلى المستشفى العسكري بعين النّعجة حيث وفّرت له رعاية صحيّة مركّزة وأحيط بأفضل الأطبّاء وجعل تحت تصرّفهم أرقى الأجهزة والتّقنيات ولكن كِبَر سنّ الشيخ وضعف جسمه حال دون إنقاذه وشفاءه فكان ما أراده الله وقدّره ...توفي يوم الإثنين 14 شوال 1424هـ الموافق لـ:08 ديسمبر 2003م[1] ليدفن في مقبرة سيدي يحي ... يقول الدّكتور عبد الرّزاق قسوم واصفا جنازته" :أرأيتم أمواجا بشريّة تحتضن الشّمس الماثلة للغروب، فتحول يائسة – دون غروبها المحتوم؟

وهل تصوّرتم الآلاف بل العشرات من الآلاف، وهم يندفعون نحو التّابوت يبلّلونه بالدّموع، فتتجاوب السّماء معهم بأمطار دمع غزيرة مدرار؟

هل تجدون تفسيرا لتعانق الأرض والسماء وتضامن من الطّبيعة مع الإنسان في البكاء؟ ذلك هو شأن المشيعين لجثمان العالم الربّاني الشّيخ أحمد سحنون في يوم الثّلاثاء الحزين. وإنه لسر لو تعلمون عظيم.

فهذا الشّعب الذي نفخ فيه أحمد سحنون روحه، بأنفاس ربانية، وأوقف حياته على نهضته ووحدته بقيم إسلامية، هو الّذي تدافع في هذا المأتم الرّهيب، يحدوه الحب والوفاء، لعالم عامل من الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه".

روى بعض المقربين منه أنّه في مرض موته كان يدخل في غيبوبة لبعض الوقت فإذا استفاق منها يردّد قوله تعالى: "فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض[2].

وكان في ذات المرض إذا طلبت منه النصيحة قال: (عليكم بالتوحد والوحدة) .

وكان يردّد قائلا: لم أحتمل طول البقاء حين عجزت عن العطاء.

---

[1] نفس الموقع السّابق.

[2] Http//vb. Tafsir.net/newreply.php?

ومن أغرب ما وقع له قبل وفاته ما ذكره لبعض تلامذته قال: مررت في طريقي إلى المسجد بالنّعش رابضا في أحد الأركان مثل المركب الواقف عند الشاطئ ينتظر المسافرين، فتوقفت أمامه متأمّلاً لأجد نفسي أخاطبه بهاته الأبيات[1]:

أيا نعش يا مركب الراحلين إلى القبر هل حان يوم الرحيل؟

فإني تخلفت عن رفقتي فهل للحاق بهم سبيل؟

وصرت غريبا بغير رفيق وقلبي كئيب وجسمي عليل

7) آثار الشّيخ:

ترك الشّيخ بعض الآثار المخطوطة والمطبوعة أهمّها:

- كتاب دراسات وتوجيهات إسلاميّة.
- كتاب كنوزنا ويقع في 300 صفحة احتوى تراجم لبعض الصّحابة.
- ديوان شعر بعنوان "حصاد السّجن" يضمّ 196 قصيدة.
- ديوان شعر "تساؤل وأمل" وهو لم بطبع بعد.

إلى جانب عشرات المقالات في العديد من الجرائد والمجلاّت كالبصائر والشّهاب.

فرحم الله الشّيخ أحمد سحنون وأسكنه فسيح جنانه مع الأنبياء والصّديقين والشّهداء والصّالحين وحسن أولئك رفيقا وإنّا لله وإنّا إليه راجعون[2].

[1] العروبة في شعر أحمد سحنون، ص 19.

[2] أعلام الجزائر، ص206ـــ 207.

المبحث الثّاني: جماليّة الأدب الإسلامي في شعر أحمد سحنون:

من المعلوم أنّ "الشّيخ أحمد سحنون" هو شخصيّة ذو فكر وعلم، وثقافة، ودين، وإصلاح، وكلّ هذا انعكس على أعماله النّثريّة والشّعريّة؛ فمن خلالها نلتمس شجاعته، ونتعرّف على طريقة تفكيره، وسعة علمه، وعلى إيمانه بالله وثباته على الدّين الإسلامي. فأعمال "الشّيخ سحنون" فيها جانب كبير من الدّين، أو بعبارة أصحّ يعالج عدّة مواضيع منطلقا من تصوّر ديني إسلامي، ليس هذا فقط بل تميّزت أعماله بالفصاحة، والجزالة، والقوّة، والصّواب، والحسن والجمال، وهذا بحكم تعلّمه، ومكانته، ومناصبه الّتي شغلها، وآثاره الّتي خلّفها، وغنى حياته بالتّجارب المختلفة والخاصّة الّتي عاشها؛ فلوّنت إنتاجه ببعض الخصوصيّة، يمكن استنباط بعض أبعادها وملامح توظيفها من خلال دراسة جماليتها من حيث الشّكل والمضمون.

1. الشّكل:

كما أشرنا سابقا، أنّ جماليّة الأدب الإسلامي تكمن في مضمونه وشكله، ونقصد بالشّكل القالب الّذي يوضع فيه الأفكار، ويتكوّن هذا القالب من لغة، وصورة، واستعارة، ورمز وخيال.

فاللّغة هي الفكر نفسه مجسّدا في ألفاظه، وهي أهمّ وظيفة جماليّة[1]. أمّا الصّورة فهي الشّكل والقالب الّذي يصبّ فيه الأديب أفكاره ومعانيه وعواطفه، وبواسطتها يستطيع الشّاعر أن ينقل إلينا حالات غامضة تخالج نفسه[2]، وهي العنصر الأبرز في لغة الشّعر والفاعلة في التّحوّلات الّتي عرفتها القصيدة العربيّة.

والاستعارة، هي من أهمّ وسائل التّعبير الشّعري بقدرتها على تصوير الأحاسيس الدّفينة، وتجسيدها تجسيدا يكشف عن ماهيتها وكنهها بشكل يجعلنا ننفعل انفعالا عميقا بها، لما تضفيه على التّعبير الشّعري من حيويّة

---

[1] محمد مصطفى أبو شوارب: "جماليّات النّص الشّعري ــ قراءة في أمالي القالي ــ"، دار الوفاء لدنيا الطّباعة والنّشر، الإسكندريّة ــ مصر ــ، ط1، 2005، ص71.

[2] كمال فنينش: "البناء الفنّي في الشّعر الجزائري المعاصر مرحلة التّحوّلات ــ 1988ــ 2000ــ" مذكّرة مكمّلة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري المعاصر، جامعة منتوري قسنطينة كليّة الآداب واللّغات، قسم اللّغة العربيّة وآدابها، 2009ــ 2010، ص62.

ووضوح واختصار، واجتناب رتابة التّعبير المباشر المألوف[1]، إذا فالاستعارة هي قوام الشّعر، ولا يمكن أن تكون مجرّد زينة.

ويرى "مصطفى ناصف" أنّ العمل الأدبي ــ في عمومه ــ والشّعر ــ على الخصوص ــ تعبير استعاري، ذو أبعاد رمزيّة[2]، نفهم من هذا أنّ هناك تقاربا في عمق الدّلالة بين الاستعارة والرّمز، وأنّ الاستعارة تعجز عن بلوغ العمق إذا لم تكن رمزا[3]. فالرّمز الأدبي أساسه علاقة اندماجيّة بين مستوى الأشياء الحسيّة الرّامزة، ومستوى الحالات المعنويّة المرموز إليها، وعلاقة التّشابه هنا تنحصر في الأثر النّفسي، ومن ثمّ فهو يوحي ولا يصرّح.[4]

أمّا الخيال؛ فهو طاقة مفجّرة للصّور الفنّيّة في العمل الأدبي، ويعتبره "مصطفى ناصف" صفة جوهريّة للعمل الأدبي، وطابعه الخاصّ، الّذي يجعله يتميّز به عن سائر ألوان النّشاطات اللّغويّة، غير الأدبيّة[5]، إذا دور الخيال هو تفتيت المعطى الحسّي، وإعادة تشكيله؛ فالخيال لا ينفصل عن الواقع ولو كان يعلو عليه، بما يمتلكه من قدرة على التّركيب والخلق.

تلك هي الخاصيّة الّتي جعلت الخيال الفنّي قادرا على تكسير الحواجز الّتي تبدو عاصية بين العقل والمادّة، وهي الّتي مكّنته من أن يجعل الخارجي داخليّا، والدّاخلي خارجيّا، ومن أن يجعل من الواقع فكرا، ويحيل الفكر إلى الواقع[6].

إذن، الرّمز والاستعارة، والخيال والصّورة، واللّغة هي مقوّمات فنيّة طبع بها "الشّيخ سحنون" شعره، لما تشعّ به من جمال وسحر، وما تمدّ به القلوب والأرواح من غذاء ومتاع، وهذا ما سأكشف عنه من خلال دراستي لشعر "أحمد سحنون" من خلال ديوانه الثّاني.

---

[1] محمد مصطفى أبوشوارب، ص122.

[2] كريب رمضان: "فلسفة الجمال في النّقد الأدبي ــ مصطفى ناصف نموذجا ــ"، ص137.

[3] ينظر: نفس المرجع، ص138.

[4] كمال فنينش، ص72.

[5] كريب رمضان، ص141.

[6] ينظر: إلى نفس المرجع، ص143.

يقول "أحمد سحنون" في قصيدة "عاد الخريف":

عَادَ الخَريفُ ولَمْ تعدْ حُريَّتي حريَّتِي هي كُلُّ مَا أَتَطَلَّبُ

أطلقتُ من حَبْسِي ولكن لَمْ أَزَلْ مُتَعَقِّبًا أَنَّى أَسيرُ وأذهبُ

ذَنْبِي العَظِيمُ حَمَاسَتِي لِعَقِيدَتِي إِنْ مَسَّهَا سُوءٌ أَثُورُ وَأَغْضَبُ

وَالدِّنُ أفْدِيهِ بِبَذْلِ حَشَاشَتِي أَسْعَى لِمَا يَحْمِي عُلاَه وأَدْأَبُ

في الدِّين تَأْمِينُ الحَيَاة منَ الأَذَى وهَلْ الحَيَاةُ بِغَيْرِ دين تَعْذُبُ؟

أنا مُؤْمِنٌ باللهِ لَسْتُ مُنَافِقًا أنا ثَابِت كَالطُّودِ لا أَتَذَبْذَبُ

فَلْيَرْتَدِعْ منْ ظَلَّ يرقُبُ غَفْلَتِي قَلْبِي بِحَوْلِ اللهِ لا يَتَقَلَّبُ.[1]

يقول "سيّد قطب" إنّ للألفاظ أرواحا وتبرز براعة المبدع في أن يطلق هذه الأرواح في جوّها الملائم لطبيعتها؛ فتستطيع الإيحاء الكامل والتّعبير المثير[2]. وهذا ما نلاحظه في أبيات "الشّيخ سحنون" أنّه كان بارعا في اختيار الألفاظ المناسبة للموضوع؛ فهي ألفاظ قويّة، ومعبّرة، صاغها بطريقة سليمة، يفهمها السّامع ويعيش معه نفس الحالة الشّعوريّة، وإذا جمعنا الألفاظ في سياقاتها المعنويّة سنجدها أنّها تأثّرت دلاليّا بما احتوته هذه الأبيات من ألفاظ معنى قوّة الإيمان والثّبات، لأنّه بالرّغم من إطلاق سراحه إلاّ أنّه لازال مُرَاقب من طرف المستعمر، لأنّه كان يشكّل خطرا كبيرا عليهم بعقيدته وإيمانه؛ فهو لا يرضى أن يُمَسّ الدّين الإسلامي، بل هو يثور ويواجه كلّ من مسّ الدّين الإسلامي بالسّوء، ويفديه بروحه المتبقّية في جسمه العليل؛ فهو يرى أنّ كلّ من كان متمسّكا بالله لن يصيبه أذى؛ فهو ثابت على هذا الدّين ولن يزعزع إيمانه شيء، وللتّعبير عن ذلك استعمل التّشبيه ، في قوله: أنا ثابت كالطّود لا أتذبذب، أي شبّه نفسه أو ثبات إيمانه بالجبل الثّابت الّذي لا يتحرّك من مكانه.

[1] أحمد سحنون: "الديوان الثّاني"، منشورات الحبر، الجزائر، ط1، 2007، ص28.

[2] سيّد قطب: " النّقد الأدبي أصوله ومناهجه"، درا الشّروق، بيروت ــ لبنان، ص71.

كما استعمل لفظة "خريف" وقال: عاد الخريف و لم تعد حريّتي، ولكن هذا الاستعمال لم يكن عبثا، بل اتّخذ من لفظة "خريف" رمزا لحياة كان قد عهدها، لأنّه قال "عاد الخريف" و لم يقل "ها قد حلّ الخريف"، وهي حياة جذب وجفاف، يعني بالرّغم من أنّه طليق إلاّ أنّه لازال مُراقب، وهذه المراقبة قد تعيقه عن الإثمار والإعمار والتّجدّد.

أمّا في الشّطر الثّاني من البيت، يظهر لنا أنّ الشّاعر استعمل مجازا؛ فقال: قلبي بحول الله لا بتقلّب، فالقلب كعضو من أعضاء جسم الإنسان لا يتحوّل ولا يتبدّل، إذا هو لا يقصد بالقلب ذلك العضو المتكوّن من لحم ودم وعروق، إنّما يقصد الإيمان وحبّ الله الموجود في القلب، وبالتّالي هو مجاز مرسل علاقته كليّة لأنّه ذكر القلب وهو الكلّ، لكنّه يقصد الإيمان الموجود في القلب وهو الجزء.

وفي قصيدة أخرى يقول:

سُجنت وهل يَسْجِنُونَ الكَلاّم؟ وإنْ كّانَ سِجْنِي سِرُّ اللِّئَامِ!!

فَقَدْ سُجِنَ الأنبِيَاء الكِرَام!!! وهَلْ يَبْغُض النُّورَ إلاَّ الظَّلامْ؟

سُجِنْتُ ولَكِنَّنَنِي ما جَزِعْتُ!!! لسِجْنِي ولَكِنَّنِي قد صَبِرْت!!

وباللهِ فيما أصبتُ اعتصمتُ! فليْسَ بغَيْرِ الإلَه اعْتِصَامْ!

سَيَمْضي نَهَارٌ ويأتِي نهارْ وَيَنْتَصِرُ الحَقَّ أيّ انتصَارْ

ويَنْدَحِرُ الظَّلم أيّ اندحارٍ ويَمْضِي البَلاَءُ ويَأتِي السَّلاَمْ

فلا يَطْمَئِنّ دُعَاةُ الظّلامْ ولا يَقْنطَنْ هُدَاةُ الأَنَامِ

سيعْقُب هَذَا العُبُوسَ ابْتِسَام فَمَا لانْحِرَاف الطّريقِ دَوَام.[1]

[1] الدّيوان، ص29.

الملاحظ في هذه القصيدة أنّ الشّاعر يتساءل ويتعجّب كثيرا، ولكن لا يريد من هذا التّساؤل جوابا، ولا يتعجّب للانبهار، وهذا الأسلوب نجده في القرآن الكريم، لأنّنا نجد في كثير من الآيات استفهاما وتعجّبا، والله سبحانه وتعالى لا يستفهم ليلقى جوابا، إذا الشّاعر نهج منهج لغة القرآن الكريم، ولغة القرآن لا يعلو عليها؛ فلغة الشّاعر سليمة قويمة، ومعبّرة؛ فاستعمل الطّباق بكثرة مثل النّور# الظّلام، يمضي# يأتي، العبوس# الابتسام، كما استعمل الجناس مثل دعاة# هداة، والمقابلة: يمضي البلاء# يأتي السّلام، وفي البيت ما قبل الأخير: فلا يطمئنّ دعاة الظّلام ولا يقنطن هداة الأنام.

أمّا بالنّسبة للاستعارة فتتمثّل في قوله: "يمضي البلاء ويأتي السّلام"، سبّه الشّاعر البلاء والسّلام بشخص يمضي ويأتي؛ فحذف المشبّه به وأبقى على قرينة دالّة عليه هو الفعل "يمضي" والفعل "يأتي". وكما قلنا سابقا أنّ الاستعارة إن لم تكن رمزا لن تؤدّي عملها.

فمن الرّموز الّتي استخدمها الشّاعر نذكر: رمز ديني: الأنبياء الكرام: وهو رمز للصّمود والثّبات والصّبر على الأذى.

ورمز طبيعي: النّهار: الّذي يدلّ على إشراقة جديدة لعهدٍ جديد مليء بالنّور، والضّياء، والازدهار.

وقد أعجبتني قصيدة له بعنوان: "اتّحد !!!" قال فيها:

اتَّحِدْ فَالنَّجَاحُ في الاتِّحَادِ يَا شَبَابَ الفِدَى ونشْءَ الجِهَادِ

إنَّنَا أُمَّة اتِّحّاد به سُدْنَا وَعُدْنَا عَلَى جَمِيعِ العِبَادِ

وإذَا نّحْنُ قُوَّةٌ تتَحَدَى كُلَّ ذي قُوَّةٍ وذي أسْتِبْدادِ

مَا دَهَانَا حتَّى أصبْنَا بخلف عَاثَ فينا كمنجل الحصّادِ؟

غَيْرَ أنَّا لَمْ يّخِبْ فينا سَنَا القُوَّة إنَّا كّالنَّارِ تّحْتّ الرَّمّادِ

فَلْنَعُدْ لاتِّحَادِنَا مِثْلَمَا كُنَّا يَعُدْ مَا لَنَا من الأمْجَادِ

يَا شَبَابَ الإِسْلَام يا جُنْدَ طه يا كَرِيمَ الآبَاءِ والأَجْدَادِ

أَتَنَامُ عَيْنَاكَ والبَلَدُ الطَّيّب يَشْكُو تسلُّطَ الأَوْغَادِ؟

يا شَبَابَ الإِسْلاَمِ يا زّارِعّ الإِحْسَانِ والفَضْلُ فِي الرُّبَى والوِهَادِ

فِي الصَّحَارِي وفِي الحَوَاضِرِ في البرِّ وفي البَحْرِ في جَمِيعِ البِلاَدِ

في أَرَاضِي كِسْرَى وقَيْصَر والأَحْبَاش وَاصِلْ مَسِيرَة الأَمْجَادِ

اُدْعُ لِلْخَيْرِ لِلْفَضِيلَةِ لِلْعَدْلِ لِنَشْرِ السَّلاَم للاتِّحَادِ

يَا شَبَابَ الإِسْلاَمِ حَسْبُكَ أَنْ تُدْعَى شَبَاب الإِسْلَامِ رَغْمَ العَوَادِي

يا شَبَابَ الجِهَادِ في أحْلَكِ الأَيَّامِ جَاءَ الصُّبْحُ قُمْ لِلْجِهَادِ

رَبّنَا يَا مُيَسِّرَ الخَيْرِ يا هادِيَ العِبَادِ لِشَقْوَة أو رَشَادِ!!!

نَحْنُ نَهْفُو وأنْتَ تَعْفُو وَلاَ نَخْجَلُ من ذِي الإيجَادِ والإِمْدَادِ

مَزَّقَتْ شَمْلَنَا الأَنَانِيَّة الحَمْقَاءُ فَاسْتَحْوَذَتْ عَلَيْنَا الأَعَادي

وّغَزَانَا حُبُّ الظُّهُور فَكُلُّ الوَقْتِ تَقْضِيهِ في الحَدِيثِ المُعَادِ

فاجْمَعْ شَمْلَنَا وافْضَح الزَّيْفَ واسْتَأْصِلْ فِئات النِّفَاقِ والإِلْحَادِ!!

وانْصُر المُسْلِمِينَ واخْذُلْ أَعَادِيهِم لِيَسْمو نجمُ الهُدى في البِلاَدِ.[1]

لقد كان للتّيّار الإسلامي والمنهج الإصلاحي لدى الشّاعر دور فعّال في تهذيب صياغته وتلطيف لغته حتّى أعطته صبغة خاصّة جمعت بين الهدف الإصلاحي والتّنفيس عن الرّوح تعبيرا عن مشاعر الألم والحزن على شباب الأمّة الّذين فرّقتهم الأنانيّة وطغى عليهم حبّ المظهر.

[1] الدّيوان، ص117.

هي قصيدة جميلة سواء من حيث بيانها أو بلاغتها، هي جميلة بالجناس في كلمتيْ "سدنا وعدنا"، وكلمتيْ "نهفو وتعفو"؛ فالجناس محسّن بديعي يعبّر عن حسن صياغة الكلام وبراعة الشّاعر في انتقائه وتركيبه هذا من جهة، ومن جهة أخرى يزيد الشّعر جمالا ورونقا، وتقوية للمعنى، وجميلة بالصّور البيانيّة الّتي تكشف عن حقيقة الموقف الشّعوري أو الفنّي الّذي مرّ به الشّاعر، ومن بين هذه الصّور نجد التّشبيه في قوله: "نحن قوّة" وهو تشبيه بليغ، حيث جعل الشّاعر نفسه وشعبه هم القوّة بحدّ ذاتها، و لم يقل أنّهم اتّصفوا بالقوّة، وقال كذلك "أصبنا بخلف عاث فينا كمنجل الحصّاد"، شبّه تخلّفهم بالمنجل الّذي يحصد به الفلاّح كلّ زرعه؛ فهذا التّخلّف أفسد جميع الشّباب أو كلّ المجتمع.

واستعمل كذلك التّشبيه في البيت التّالي:

غير أنّا لم يخب فينا سنا القوّة إنّا كالنّار تحت الرّماد

شبّه الشّاعر نفسه والشّعب كذلك بالنّار الموجودة تحت الرّماد؛ فهي نار لا تظهر ولكن حرارتها شديدة تحرق كلّ ما وُضع عليها، وهي كذلك قوّة هذا الشّعب فهي لا تظهر ولكنّها تفتك وتتصدّى، وهو يريد من خلال هذا التّشبيه أن يبيّن أنّ شباب المسلمين لم تتزعزع قوّتهم و لم يفسدها هذا التّخلّف الّذي يظنّ الكثير أنّه أفسد كلّ شيء، كما نجده يرسم أبعاد موقفه عن طريق الرّبط بين طرفيْ التّشبيه في وضعٍ يكشف القيم الجماليّة الّتي امتلكت ذات الشّاعر، وسيطرت على تصويره التّشبيهي.

أمّا الاستعارة فقد غرف منها الشّاعر لأنّها من أهمّ وسائل التّعبير الشّعري، فقال: "يا زارع الإحسان والفضل في الرّبى والوهاد" هي استعارة مكنية، حيث شبّه الشّاعر الإحسان والفضل بالبذور الّتي تُزرع في الرّبى والوهاد؛ فحذف المشبّه به وأبقى على قرينة تدلّ عليه وهي لفظة "يازارع".

وفي بيت آخر قال: "مزّقت شملنا الأنانيّة الحمقاء" لو تأمّلنا هذا البيت لوجدنا استعارتين مكنيتين، الأولى: أنّه شبّه الأنانيّة بالإنسان الأحمق الذّي يمزّق الأشياء، والثّانية: شبّه الشّمل بالقماش أو الورق الّذي يُمَزَّق، فاستعمال استعارتين في عبارة واحدة يدل! على براعة الشّاعر في نسجه للكلمات، الّذي استطاع أن يزخرف بها قصيدته ويجعلها لوحة فنيّة جميلة.

وقال كذلك: "غزانا حبّ الظّهور" فشبّه حبّ المظاهر بالجيش الّذي يغزو البلاد.

وفي عبارة أخرى قال: "جاء الصّباح" فجعل من الصّباح إنسانا يجيء، كما اتّخذ من كلمة "الصّباح" رمزا يوحي بالمستقبل الزّاهر المشرق.

وحتّى كلمة "زارع" اتّخذها كرمز للنّماء والإعمار. أمّا الرّمز التّاريخي فيتجلّى من خلال قوله: في أراضي كسرى وقيصر والأحباش فهي أماكن توحي بالبطولات الّتي خاضها فيها العرب وحقّقوا انتصارات وصنعوا مجدا عريقا يعتزّ به المسلمون.

في الأخير أخلص من خلال هذه القصيدة إلى أنّ كلّ هذه الرّموز، والتّشبيهات، والاستعارات كانت أداتها خيال الشّاعر، حيث ساعده على التّعبير عن الانفعالات والأفكار الّتي تجول بخاطره، ولذا فإنّ سعة أفق الشّاعر وقدرته عل الإتيان بالصّور، وانطلاقته من أرض الواقع إلى سماء الخيال كلّ هذا يثري القصيدة ويتيح فرصا أكبر للتّعبير وكسر الحاجز الواقعي الّذي يحاول تضييق عالم الشّاعر؛ فالشّاعر يريد من خلال قصيدته أن يوجد نوعا من التّوافق الشّعوري مع عالمه الخارجي، وينفّس من خلال رموزه، وصوره، ولغته عمّا بداخله من إحساس.

إجمالا أستنتج من خلال هذه القصائد الثّلاث أنّ الشّاعر كان بارعا في إبراز جمالية شكل أدبه الإسلامي، الّذي جعله لوحة فنيّة تنبض بالحياة جسّد فيها إحساسه المرهف، وإبداعه الرّاقي، وفكره الإسلامي حتّى تفجّرت في أعماقها كلّ أسرار السّحر والجمال والإيحاء.

هذا بالنّسبة للشّكل، أمّا مضمون الأدب الإسلامي فتكمن جماليته في نقاط معيّنة سأحاول أن أعرض بعضها:

2. المضمون:

إنّ جمالية الأدب الإسلامي في مضمونه تكمن في أنّه يعالج مواضيع شتّى، وبطرق مختلفة، يعني أنّ الأدب الإسلامي لا ينحصر فقط في العقيدة والحكم الدّيني، والشّخصية الدّينية، وإنّما مجالات الأدب الإسلامي

واسعة، وهذا ما لمسته في شعر "أحمد سحنون" فمثلا له بعض القصائد يتحدّث فيها عن الحياة، فيقول في قصيدة "كيف نفهم الحياة!" :

علام عصينا الإله؟ ونحن نحب الحياة

وكيف تطيب الحياة؟ بغير اتّباع الإله

لأنّ اتّباع الإله طريق لفهم الحياة

وليس لفهم الحياة سوى فهم شرع الإله

ألا فأطيعوا الإله لتجنوا ثمار الحياة[1]

فكلّ واحد له وجهة نظر عن "الحياة" فربّما هناك من يرى أنّ الحياة هي أن تلبّي كلّ حاجاتك المعنوية والماديّة بدون التّقيّد بالتّعاليم الدّينيّة لأنّ هذه التّعاليم هي حواجز وقوانين بالنّسبة لهم، ولكن "أحمد سحنون" يؤكّد أنّ فهم الحياة هو متعلّق بحبّ الله، فمن أحبّ الله طاب له العيش ومن أطاعه جنى ثمار الحياة، إذن " الشّيخ أحمد سحنون" يفهم الحياة باتّباع الله.

وفي قصيدة أخرى يتحدّث عن قيمة الحياة وهي بعنوان "حياة أو ردى":

علام أضاع النّاس وقتم سدى؟ فلم يكسبوا علما و لم يطلبوا هدى

فكان فراغا وقتهم مثل فكرهم خلا من معان تثمر اليوم أوغدا

وباءوا بسخط الله إذ كفروا به وهل مهتد مثل الّذي ضلّ واعتدى؟

وكم ثروة في الوقت ضاعت بجهلنا وكم جاهل لم يدر ما كان بدّدا

لماذا خُلقنا إن خسرنا حياتنا؟ وكانت فراغا لا تسرّ سوى العدى

إذا ما خلت من كلّ نفع حياتنا فليس ببدع أن نسمّيها الرّدى.[2]

[1] الدّيوان: ص60.

[2] نفس المصدر، ص61.

يرى الشّاعر أنّ قيمة الحياة تكمن في العلم والعمل؛ فمن كان وقته وفكره فارغان فلا حياة له بل هو في هلاك، هذا ما يحثّ عليه الدّين الإسلامي العلم والعمل، إذا الشّاعر له منطلق إسلامي في فهم الحياة وتقييمها، فجمال هتين القصيدتين منبعث من تلك الازدواجيّة بين ما هو اجتماعي وما هو ديني.

ومن أهمّ المواضيع الّتي تحدّث عنها "الشّيخ سحنون" هو موضوع "المرأة" وذلك من خلال قصيدة "عيد المرأة" الّتي قال فيها:

كنتِ عيدا على الدّوام مديدا وعجيب أن يجعلوا لك عيدا.

فالشّاعر يتعجّب من أن جعلوا للمرأة عيد، لأنّ أيّمها كلّها عيد وهذا دليل على مكانة وقيمة المرأة، ثمّ قال:

أرادوا أن يمدحوك فما زادوا على أن أروك هجوا جديدا

أنت أمّ وأنت بنت وأخت ثمّ زوج تشيد بيتا سعيدا

المرأة هي "الأمّ، والبنت والأخت والزّوجة " إذا هي عماد المجتمع وأساسه. ثمّ قال:

كيف قد أنزلوك عن مستوى صاغك فيه الإسلام عقدا نضيدا

فمستوى المرأة في الإسلام هو أعلى وأسمى، وأرقى بكثير من مستواها في هذا العيد؛ فهي عقد سويّ متّسق، جميل، كلّ حبّة لؤلؤ فيه تكمّل الأخرى، وليست قضيّة مثل ما قال:

ثمّ صاغوا قضيّة منك لم تبرح حديثا مكرّرا لن يفيدا.

ثمّ واصل حديثه عن المرأة قائلا:

أنت نصفٌ مكمّل نصفك الآخر لن يستطيع عنك محيدا

لو كان الرّجل نصف المجتمع؛ فالمرأة هي النّصف الآخر الّذي يكمّل هذا المجتمع، وإذا كان الرّجال قوّامون عن النّساء؛ فوراء كلّ رجل عظيم امرأة عظيمة.

ثمّ قال:

كنت في البيت دُرّة زانت البيت وكنت نجما يضيء بعيدا

بل لقد كنت ربّة التّاج فيه لم تعاني بؤسا ولا تنكيدا

جرّدوك وأبعدوك عن البيت وما كنت قد فعلت حميدا

إنّما البيت برلمانك فيه قد تقلّدت تاجك المعقودا

فانتقلت إلى المعامل تقضي النّهار شغلا وجهدا جهيدا

نلت في البيت ما هويت مدى عمرك حبّا جمّا وعيشا رغيدا

ذاك نهج الإسلام من شيّد الله به للأنام مجدا تليدا[1]

المرأة هي زينة البيت هي النّجم الّذي يضيؤه، هي ملكته وسط حشدها، لا تاني البؤس ولا التّعب ولا الضّجر، هي تأمر فقط وكلّ شيء يحضر إليها، هي رئيسة برلمان بيتها هي الآمرة النّاهية، هي الّتي تعيش في رغد وحبّ وحنان، إذا المرأة هي جوهرة ثمينة تحتاج لمن يحميها ويحافظ عليها، كما قال الرّسول صلّى الله عليه وسلّم: "رفقا بالقوارير"، ولا تحتاج لحريّة لا تجني منها إلّا الشّقاء والتّعب، وفي الأخير يعترف الشّاعر أنّ كلّ ما قاله هو نهج الإسلام الّذي كتب به لعبده المجد والخلود.

يقول "الشّيخ أحمد سحنون" في قصيدة له:

سألزم نفسي كلّ ما يرفع النّفسا وأمنعها أن تقرّب الإثم والرّجسا

إذا هبطت أخلاقنا ساء حالنا وإن كرمت أخلاقنا لم تحف بأسا

فقل للّذي لم يسم بالعلم خلقه ضللت فلم ترشد و لم تفقه الدّرسا

فلا خير في علم عقيم وإنّي أرى العلم دون الخلق لا يرفع الرّأسا

[1] الدّيوان، ص323.

هل الغيث يعطي ثروة الزّرع وحده إذا الأرض لم تصلح لأن تحضن الغرسا

فسبحان من لم يجعل الخلق نسخة مكرّرة جنّا من الخلق أو إنسا

بل اختلفوا في كلّ شيء لحكمة قد اختلفوا معنى كما اختلفوا حسّا

بل اختلفوا عقلا وخلقا وصورة ودينا وتفكيرا كما اختلفوا جنسا

فيا ربّ قد خطوي إلى ما ينيلني رضاك وذكرني رضاك فلا أنسى[1]

عنوان هذه القصيدة هو "العلم والخلق"، ويريد الشّاعر من خلالها أن يؤكّد على ثنائية لا يمكن فصلها هي "العلم والخلق"، فالإنسان العالم غير المتخلّق لن ينفعه علمه ولن ينتفع به غيره، لأنّ العلم بلا أخلاق كالزّهر بلا عطر، وهذا ما يسعى إليه الإسلام، نشر العلم المتخلّق.

من خلال هذه الدّراسة القصيرة لشعر "أحمد سحنون"، أخلص إلى أنّ الشّاعر اتّخذ من القصيدة وسيلة لإعلاء صوته فهو يعتزّ بالهوية التّي غرست في أعماقه وإيمانه المطلق بالإسلام؛ فقدّمها لنا ـــ القصائد ـــ في أحسن حلّة، جميلة مستمدّة جمالها من الطّبيعة والقرآن الكريم، فيظهر إحساس الاندماج مع المظاهر الطّبيعية، ومع نفسه السّابحة في ملكوت الله، والمتأمّلة في عظمة خلقه.

والقرآن الكريم هو المنهل الأوّل الّذي نهل منه الشّاعر لغته، واستقامة لسانه، واتّزان بيانه، كما تجلّى في أخلاقه وأعماله ورزانة تفكيره، ورجاحة تدبيره، يقول "أحمد سحنون": "إذا أجذب بكم الزّمان، أو تبا بكم المكان، فتعالوا إلى رياض القرآن فإنّكم ستجدون المرعى الخصيب والجنان الرّحيب"[2].

أمّا الطّبيعة فكانت هي الأخرى منهلا عذبا ورده "أحمد سحنون" واتّخذه مصدر إيحاء للمعاني، فمظاهر الطّبيعة وجمالها الأخّاذ جعلا الشّاعر يجول في أرجائها متّخذا منها أبراد حسنها الجميلة.

إذا، جمع الشّاعر كلّ علامات الحسن أو الجمال معنويا وماديا من القرآن الكريم والطّبيعة، وجسّدها في أدبه الإسلامي شكلا ومضمونا.

---

[1] الدّيوان، ص371.

[2] أحمد سحنون: "دراسات وتوجيهات إسلامية "، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1992، ص170.

الخاتمة

خاتمة

ها هو البحث يصل إلى آخر محطّاته وهي الخاتمة، والّتي جاءت خلاصة لكلّ ما تطرّقت له في البحث، وجملة من النّتائج، من بينها:

- ✓ الأدب هو فنّ من الفنون يتميّز، بعناصره وطبيعته المتمثّلة في الإبداع في الكلمات والإيقاع، أمّا الجمال فهو موجود في كلّ زمان ومكان وهو جزء لا يتجزّأ من الفنّ كيفما كان، سواء ماديّا أو معنويّا.
- ✓ الأدب الإسلامي هو مصطلح قديم بتداوله، حديث بنظريّاته، له خصائص تميّزه عن الآداب الأخرى مثال: غايته، التزامه، أمّا مهمّة الأدب الإسلامي هي إيقاظ النّفس البشريّة من سباتها وغفلتها لتتفتّح على الوجود وتستنشق الحياة.
- ✓ في المنظور الإسلامي الإحساس بالجمال لا يتمثّل في المادّة وحسب، بل يتمثّل فيها وفي المضمون أو الأفكار الّتي تجسّد الجوانب السّامية في النّفس البشريّة.
- ✓ ينهل الأدب الإسلامي جماليّته شكلا ومضمونا من القرآن الكريم، والطّبيعة، والانفتاح على الغير.
- ✓ من أهمّ المفكّرين والمصلحين في الجزائر هو "أحمد سحنون" الّذي تمتّع بشخصية قويّة، هذه الشخصية صدر منها العديد من الإبداعات خاصة الشعر؛ فعُرف بألفاظه القويّة وتعبيره الرّزين والفصيح، كما طبع بالإسلامية.
- ✓ تظهر جمالية الأدب الإسلامي في شعر "أحمد سحنون" من خلال الشّكل والمضمون؛ فالشّكل اعتمد فيه على أهمّ مصادر الجمال، وهي: القرآن الكريم، ومظاهر الطّبيعة؛ كما كان يتحرّى الجميل المناسب، ولا يرضى برصف كلمات جوفاء تفسد على القارئ نشوته، أمّا من حيث المضمون فقد عالج مواضيع مختلفة من زاويتين: الإسلام والمنطق.

قائمة المصادر والمراجع

* القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

* الحديث النبوي الشريف.

1. أحمد حسن الزّيات: "تاريخ الأدب العربي"، دار النهضة مصر للطّبع والنّشر، القاهرة، ط25، د.ت.

2. أحمد سحنون: "الديوان الثّاني"، منشورات الحبر، الجزائر، ط1، 2007.

3. أحمد سحنون: "دراسات وتوجيهات إسلامية "، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1992.

4. اسماعيل ابراهيم المشهداني: "علم الأدب الإسلامي"، وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة، الكويت، ط1، سبتمبر 2013-شوّال 1434.

5. انصاف الرّبطي: "علم الجمال بين الفلسفة والإبداع"، دار الفكر، عمان، ط2، 2007-1428.

6. البخاري، الإمام محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري [الجامع الصّحيح المختصر]، تحقيق: د. مصطفى ديب، اليمامة.

7. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين: "سنن البيهقي الكبرى، مكّة المكرّمة"، مكتبة دار الباز، د.ط ،1414هـ ـ1994م.

8. التّميمي، محمد بن حبان بن أحمد:" صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان"، تحقيق: شعيب الأرنواط، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط 2، 1414هـ ـ 1993م.

9. جمال الدّين أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الإفريقي المصري: "لسان العرب"، دار الكتب العلميّة، بيروت ـ لبنان، ط1، 2003-1424.

10. جميل علي السّورجي: "مفهوم الجمال في الفكر الإسلامي"، مجلّة الشّريعة والدّراسات الإسلاميّة، ع20، 1433-2012.

11. حسن بن حجبا بن يحي الحازمي: "إسهامات نجيب الكيلاني في التّنظير للأدب الإسلامي".

12. رفاعي أنصار محمد عوض الله: "الأصول الجماليّة والفلسفة للفنّ الإسلامي"، مكتبة الإسكندريّة، مصر، أطروحة دكتوراه مقدّمة إلى كليّة التّربية الفنيّة، جامعة حلوان، 2002.

13. الزّمخشري: "الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل"، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، ج2.

14. السّجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محي الدّين عبد الحميد، دمشق، دار الفكر، د.ط، د.ت.

15. سيّد عبد الماجد الغوري: "العلاّمة أبو الحسن النّدوي رائد الأدب الإسلامي"، دار ابن كثير، ط1، دمشق ــ بيروت،1430هـ-2009م.

16. سيّد قطب: " النّقد الأدبي أصوله ومناهجه"، درا الشّروق، بيروت ــ لبنان.

17. صحيح مسلم، 275.

18. عبد الحميد بوزوينة: "نظريّة الأدب في ضوء الإسلام، القسم الأوّل: النّظريّة العامّة للأدب"، دار البشير، عمان ــ الأردن، ط1، 1411ــ 1990.

19. عبد القدوس أبو صالح، شبهة المصطلح، مجلّة الأدب الإسلامي، السّنة الثّانية، مج 2، ع8، لسنة 1995، رابطة الأدب الإسلامي على الموقع الإلكتروني www.adabislami.org.

20. عبد الهادي الفضيلي، "نحو أدب إسلامي"، مطبعة الآداب، 1391هـ.

21. عدنان علي رضا النّحوي: "الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته"، منتديات قلعة طرابلس، أبو النّور، دار النّحوي للنّشر والتّوزيع، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط3، 1415-1994.

22. علي بوملحم: "في الأدب وفنونه"، المطبعة العصريّة للطّباعة والنّشر، د.ط، د.ت.

23. عماد الدّين خليل: "مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي"، مؤسّسة الرّسالة، ط2، بيروت، 1988.

24. فتحي بودفلة: "العروبة في شعر أحمد سحنون".

25. فريد ريك هيجل: "محاضرات عن الفنّ الجميل، علم الجمال"، الحلقة الأولى، علم الجمال وفلسفة الفنّ"، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، مكتبة دار الكلمة، القاهرة، مصر، ط1، 2010.

26. كريب رمضان:" فلسفة الجمال في النّقد الأدبي، مصطفى ناصف نموذجا"، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 2009.

27. كمال فنينش: "البناء الفنّي في الشّعر الجزائري المعاصر مرحلة التّحوّلات ــ 1988ــ 2000ــ" مذكّرة مكمّلة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري المعاصر، جامعة منتوري قسنطينة كليّة الآداب واللّغات، قسم اللّغة العربيّة وآدابها، 2009-2010.

28. لخضر العرابي: "الأدب الإسلامي ماهيته ومجالاته"، دار الغرب للنّشر والتّوزيع، وهران، 2003.

29. ماجد بن محمّد الماجد: "الأدب الإسلامي. مراجعات في النّشأة والخصائص"، "بحث ترقية"، الرّياض ــ السّعوديّة، www.pdffactory.com.

30. محمد إقبال عروي، جمالية الأدب الإسلامي، الطبعة السلفية، الدار البيضاء، ط1، 1986.

31. محمد المجذوب:" تحفة اللّبيب"، النّادي الأدبي، المدينة المنوّرة، ط1، 1404هـ.

32. محمد بن رمضان شاوش والغوثي بن حمدان: "إرشاد الحائر إلى أدباء الجزائر"، دار البصائر للنّشر والتّوزيع، المجلّد 2، ج3-4، الجزائر.

33. محمد علي غوري: "مدخل إلى نظريّة الجمال في النّقد العربي القديم"، مجلّة القسم العربي جامعة بنجاب لاهور-باكستان، العدد الثّامن عشر،2011.

34. محمّد قطب: "منهج الفنّ الإسلامي"، دار الشّروق، بيروت، ط6، 1983.

35. محمد مصطفى أبو شوارب: "جماليّات النّص الشّعري ــ قراءة في أمالي القالي ــ"، دار الوفاء لدنيا الطّباعة والنّشر، الإسكندريّة -مصر، ط1، 2005.

36. محمّد مصطفى هدارة: "بحث الالتزام في الأدب الإسلامي "، بحوث ندوة الأدب الإسلامي عام 1405هـ.

37. محمّد مصطفى هدّارة: "موقف الأدب الإسلامي من المذاهب الأدبيّة المعاصرة، مجلّة الأدب الإسلامي، ع4، سنة 1994.

38. معجم الفلاسفة، دار نزهة الألباب.

39. نجيب الكيلاني: "مدخل إلى الأدب الإسلامي"، كتاب الأمّة، قطر،1987.

40. نور الدّين مسعودان: "أعلام الجزائر"، دار النّون للطّباعة والنّشر والتّوزيع، 2010.

41. http//vb.tafsir.net/newreply.php? Do= newreply & noquote= one&p=141032.

الملخص:

يتميّز الأدب الإسلامي برؤيته الخاصّة للكون، ممّا جعلت الفنّان أو الأديب يتعمّق في الحياة ويغوص فيها، وتعتبر هذه الخصوصيّة رافدا يساعد الجمالية الفنيّة على تحقيق ذاتها في النّص الأدبي الإسلامي، وهذا ما تجلّى في شعر "الشّيخ أحمد سحنون" الّذي كان أحسن مثال جسّد الجماليّة في الأدب الإسلامي.

الكلمات المفتاحية:

الأدب الإسلامي-الجمال-أحمد سحنون.

Résumé :

Mettant en vedette la littérature islamique à sa vision de l'univers, qui fait l'artiste ou l'écrivain se plonger plus profondément dans la vie et la plongée en elle, et considère que cette vie privée affluent aide artistique esthétique à la même réussite dans le texte littéraire musulman, et cela se manifeste dans les cheveux, "Cheikh Ahmed Sahnoun," qui était le meilleur exemple de l'esthétique du corps dans la littérature islamique.

Mots clés :

Islamique littérature -beauté -Ahmed Sahnoun.

Summary :

Featuring Islamic literature to his vision of the universe, which made the artist or writer delve deeper into the life and dive into it, and considers this privacy tributary helps artistic aesthetic to the same achievement in the Muslim literary text, and this is manifested in the hair, "Sheikh Ahmed Sahnoun," which was the best example of the body aesthetic in Islamic literature.

key words:

Islamic literature-beauty-Ahmed Sahnoun.